تحالف الدولة الحميرية

مع ممالك وسط الجزيرة العربية وشمالها

خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ظهرت على طول الحدود الشمالية لدول جنوبي شبه الجزيرة العربية عدة ممالك عربية – صغيرة – سرعان ما تحولت إلى مصادر تهديد لجيرانها، ومن ضمنهم الدول العربيةٍ الجنوبية . وعندما كانت سلعة البخور تنقل براً كانت قبائل تلك الممالك تحصل على مبالغ مالية وعينية محددة، مقابل مرور القوافل التجارية على أراضيها . وكانت المبالغ تدفع على شكل إتاوات أو ضرائب أو ما شابه ذلك . وكان جزءٌ من سكان تلك المناطق ينحدر من جنوبي شبه جزيرة العرب . لذلك حافظت وبصورة دائمة على علاقات ود وتفاهم مع دول الجنوب .

السياسي والعسكري

بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين

بقلم : الدكتور
مهيوب غالب أحمد كليب

على أن الدول العربية الجنوبية كانت تتجاذب هذه العلاقات كي تستخدم القبائل ؛ كقوىً في صراعها مع بعضها البعض أو كخط دفاع أمامي على حدودها الشمالية من هجمات بعض القبائل البدوية أو الدول التي كانت تقطنٍ في وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها . وفضلاً عن ذلك استخدمت الإمكانات العسكرية لتلك الممالك في تأمين طرق القوافل التجارية التي كانت تقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال والشمال الشرقي والعكس .

من جهتها حاولت تلك الممالك والقبائل أن تستفيد ليس فقط من التناقضات التي كانت قائمة ؛ بين مختلف دول جنوبي شبه الجزيرة ؛ ولكنها استفادت كذلك من الصراعات التي كانت قائمة بين الدولتين الكبرتين في ذلك الوقت (بيزنطة وفارس)، لينمو دورها فيما بعد — وبصورة فعالة — في الحياة السياسية لبلاد العرب الجنوبية . إذ تشكلت من بعض أفرادها، في وقت لاحق القوى الأساسية لما كان يعرف باسم الخيّالة، لملوك حمْيَر منذ منتصف القرن الرابع الميلادي . وبرز منها قادة عسكريون لعبوا أدواراً مهمة في الحروب التي كانت تقوم سواءً بين دولتي سبأ وحِمْيَر أو بين الحمْيَريين وأعدائهم . من أولئك القادة ؛ سعد طالب يتلف الجدني [إيرياني ٣٢] . لقد كان هذا القائد أحد أبرز القادة العسكريين في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، أيام حكم الملك أسعد الكامل . وعندما وسع هذا الملك اللقب الطويل ؛ من ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة إلى ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وأعرابهم في طوده وتهامة (أي في الجبل والسهل)، كان ذلك إيذاناً ببدء حقبة تاريخية جديدة في تاريخ علاقات الدولة الحمْيَرية مع بقية القبائل العربية، في وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها .

لقد تم تناول موضوع علاقات الدولة العربية الجنوبية (ومنها الحميرية) بممالك وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها، من زوايا معينة، وبشكل متناثر هنا وهناك، وفي هذه الدراسة سوف نحاول إعطاء تحليل متكامل لكافة جوانب تلك العلاقات ونتائجها،لكي يتضح المشهد التاريخي لها وبشكل جلي .

على أننا ونحن نتناول هذا الموضوع سوف لن نستطيع أن نتقيد بالحقبة الزمنية التي حددت سابقاً بل سنضطر للعودة — وإن بصورة سريعة — إلى عصر مبكر قليلاً، حين بدأت تلك الممالك بالظهور لكي تتضح الصورة للقارئ حول ظروف ظهورها والدور الذي أنيط بهم، ومن ثم كيف أصبحت تشكل مناطق استقطاب لأكثر من جهة خلال العصر التاريخي الذي حددناه في بداية هذا الموضوع . وسوف نحاول، وبصورة مختصرة، تحليل موضوع ظهور تلك الممالك وتطورها، ودورها ليس فقط في تاريخ شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من الألف الأول الميلادي، ولكن أيضاً، دورها في تاريخ العلاقات الدولية للشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت .

بداية التحالفات السياسية – العسكرية :

كانت الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثالث حتي نهاية القرن الخامس الميلاديين – وهي الحقبة الأخيرة في تاريخ الحضارة اليمنية القديمة – مليئة بالصراعات السياسية والعسكرية . فتصارعت عدة دول يمنية، وفي إطار الدول ذاتها تصارعت عائلات من أجل السلطة وقيادة البلد . وكان الصراع بين حِمْير وسبأ هو الأعنف والأسرع . وقد حسمت الأمور مع نهاية القرن الرابع الميلادي لصالح ملوك حمير، وأصبح الحميَريون يحكمون اليمن بصورة كاملة .

خلال تلك الحقبة – أيضاً – لوحظ زيادة نشاط القبائل العربية الشمالية، في وسط شبه الجزيرة وشماليها . وفي هذه الفترة جرت عمليات ؛ سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، هامة وعاصفة، تمكنت خلالها اليمن القديم من الولوج في صفحات عدة من التاريخ العالمي العام : تحول اليمن حينذاك إلى قوىً إقليمية تلعب دوراً مهماً في صياغة العلاقات الدولية . الأمر الذي اضطرت معه الدولتان الكبيرتان إلى أن تضع هذا الدور في مكانه المناسب عند صراعهما فيما بينهما حول المصالح الاقتصادية حينذاك .

وفضلاً عن ذلك وظفت القوتان الكبرتان الأحزاب الدينية (المسيحية واليهودية) في صراعهما من أجل تأمين مصالحهما في هذه المنطقة من العالم . وبالرغم من أن هذه الحقبة الزمنية كلها، كانت بمثابة فترة انتقالية (من العصر القديم إلى العصر الوسيط)، فقد برزت خلالها عدة ظواهر واتجاهات سياسية جديدة، اتضحت بأنها من معالم القرون الوسطى المبكرة . وهي **أولاً** : اتجاه البلد بكاملها نحو ضرورة التوحد . **ثانياً** : ظهور مؤسسة الأقيال، وهي المؤسسة التي سعت نحو استقلال حكام الأقاليم . **ثالثاً** : تقوية التعاون العسكري مع المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية (أي مع الممالك الصغيرة التي ظهرت هناك) . إلا أن "طريق البخور" ؛ الذي كان يقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال والعكس ؛ قد اشترط أن تمر فيه القوافل التجارية بأمان، وهو ما يعني وجود قوىً على طول تلك الطريق ؛ تؤمِّن مرور تلك القوافل، وتحافظ على المصالح الاقتصادية للقوى الإقليمية والدولية، في هذه المنطقة من العالم . وهي المهمة التي

كانت تضطلع بها الدولة العربية الجنوبية وحلفاؤها على طول شبه الجزيرة العربية . وقد تمثل أولئك الحلفاء ؛ في تلك المحطات التي انتشرت على طول الطريق التجاري من جهة والممالك العربية التي بدأت بالظهور منذ مطلع العصر الميلادي، من الجهة الأخرى . وما يهم هنا هو هذه الممالك، التي سوف نتناولها مبتدئين بالأقدم — حسبما نعتقد — وهكذا . ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن أصل قبائلها، لأنه ليس موضوع البحث، ولكننا سنلامس هذا الجانب، في سياق الحديث كلما دعت الضرورة .

أولاً – مملكة كندة :

كِندة قبيلة قديمة تنحدر — بحسب معظم الإشارات — من جنوب شبه الجزيرة، برز منها ملوك حكموا تلك المملكة التي قامت في قرية، في بداية العصر الميلادي، وسميت باسمها. وهي إحدى ثلاث قبائل تكونت منهاتلك المملكة (كندة وقحطان ومذحج) . وقد ذكر الهمداني كِندة على أنها من اليمن ؛ باعتبارها واحدة من عدة قبائل تنحدر من سبأ [الهمداني، الإكليل ٢٠٠٤، ١٣١] . وذكرت كندة، كذلك، على أنها : "قبيلة عظيمة من القبائل اليمنية التي تربعت أريكة المُلْك زمناً طويلاً بحضرموت ونجْد ولها تاريخ حافل . . ." [الهمداني، ١٠٢] . وفي مصدر آخر : "كندة من كهلان واسمه ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد، وجميع كندة أصلان : معاوية والأشرس . فبطون معاوية الأكرمين بنو عمرو بن وهب وهم الملوك . وبطون الأشرس السَكون (بفتح السين) وضمها والصدِف (بكسر الدال) وتُجيب (بضم التاء) . ومن كندة العوادر، فهذه قبائل كندة ." [طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ١٩٨٥، ٤٩–٥٠، ٦٤–٦٥] . وذُكرت كندة في قصيدة نشوان بن سعيد الحميري في أكثر من موضع [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٩٨٦، ١٣٣، ١٣٦–١٣٨، ١٨١] . ويعتقد بعض الباحثين، أن كندة كانت بطنا من قبيلة مذحج . وأنها قد ظهرت في حوالي ١٨٠ ميلادية وربما قبل ذلك بكثير . . قطنت قبائل كندة ومذحج في وسط شبه الجزيرة العربية . أي في منطقة الأفلج [Wissman H., 1964, p. 124-499] وفي مناطق أخرى (سنأتي على ذكرها فيما بعد) . إلا أن مذحج كانت قبيلة قائمة بذاتها . وقد أجرى بعض الأثريين من جامعة الرياض، تحريات في

أطلال قرية الفاو، حيث كانت تقع حاضرة مملكة كندة، وهي التي وحدت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين مساحة واسعة هناك، أي في عصر كندة الجديدة — على رأي بيتروفسكي . وقد اتضح للمختصين في شئون تلك المنطقة، وبصورة مدهشة، المستوى الحضاري المتطور لتلك المدينة، وعلاقاتها المتعددة مع المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، التي كانت تقطنها قبائل بدوية مختلفة [بطرس غريازنيفتش، ٢، ١٩٨٩، ١٢٩-١٣٥] .

وتعاقب على "قرية" — حاضرة كندة — ملوك من عشائر مختلفة . نعرف على الأقل من خلال المصادر ملوكاً من قحطان وملوكاً من كندة . فقد وجدت البعثة الأثرية التابعة لجامعة الرياض شاهداً على قبر في "قرية" ذاتها، باسم معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج [عبد الرحمن الأنصاري، ١٣٩٩، ٩، ك. روبان، ١٩٨٧، ٩١، م. بتروفسكي، ١٩٨٥، ١٨] مع العلم أن النصوص النقشية التالية كانت تتحدث عن ملوك كندة ومذحج — كما سنرى فيما بعد — .

إننا نعتقد أن مملكة كندة قد ظهرت في وقت مبكر أكثر مما افترضه هيرمان ويسمان، على اعتبار أنه عندما وصل الملك السبئي (شعر أوتر) إلى الحكم، كانت كندة موجودة، وأصبح لها وزنها في طريق القوافل التجارية، التي كانت تمر عبر أراضي كندة ذاتها شرقاً نحو الخليج . وبفضل موقعها على طريق القوافل التجارية فقد لعبت دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والسياسية لمنطقة وسط شبه الجزيرة خلال القرنين الثاني والرابع الميلاديين، وهو عصر كندة الأول، أو عصر كندة القديمة، وكذلك في القرنين الخامس والسادس، وهو عصر كندة الثاني، أو عصر كندة الجديدة . وبحسب بافقيه فإن "علماء الأنساب ينسبون كندة إلى جد أسطوري هو كنـــدة المسمى أيضـــاً ثور بن عفير الخ . .، وقيل ثور بن مرتع بن معاوية الخ . ." [محمد عبد القادر بافقيه، روبان بيستون ومحمود الغول، ١٩٨٥، ٢٢٥] . وتشير بيجوليفسكايا ؛ إلى أن الكِنْديين قد عاشوا قبل هجرتهم تلك في منطقة كان مركزها "دمون" [بيجوليفسكايا ن. ف.، ١٩٨٣، ١٥٣، بيتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٠] . ولعل بيجوليفسكايا تقصد هنا، الهجرة الثانية لكندة في مرحلتها الجديدة وليست القديمة . أي أن شطراً من قبائل كندة قد اضطر إلى الهجرة من جنوب شبه الجزيرة إلى مناطق جديدة في وسط شبه الجزيرة وشمال غربيها، بسبب

الاضطرابات التي حدثت في الجنوب، ربما عند ملتقى العصر الميلادي [شهدت بلاد العرب الجنوبية في تلك الفترة أحداثاً تاريخية مهمة عند ملتقى العصر الميلادي غيرت الخارطة السياسية والديموجرافية في المنطقة، مثل : حملة إليوس جالوس، تحول قسم كبير من التجارة الدولية إلى البحر، انتفاضة الحميريين وتأسيس دولتهم في جنوب غرب بلاد العرب الجنوبية الخ. .] . وفي طريق هجرتهم، سلك الكِنْديون الطريق التقليدية التي كانت تسلكها القوافل التجارية، ثم انتشر المهاجرون في مناطق شتى من وسط الجزيرة وشماليها (بلاد معد وبعض مناطق العراق وفينيقية "بلاد النخيل" وفلسطين وسوريا)، ومزجوا بين حياة البداوة والحضر على عكس مدن القوافل التي تأسست فيها مدن دول مثل ؛ تدمر والبتراء والحضر [يوسف محمد عبد الله، ١٩٩٠، ٦٠] . على أن المدينة (أي مدينة)، تنشأ كنتيجة لتطور الزراعة، ومن ثم وجود السوق الذي يضم مصالح مجموعات اجتماعية مختلفة، حقاً أو باطلاً .

في المدينة يتوحد الناس على أساس المصالح الاقتصادية . ومع ذلك تتطلب عملية حماية تلك الوحدة : إدارة، ثم دولة، وهو ما أدى فيما بعد إلى ظهور دولة المدينة . ودولة كندة لا تشذ عن هذه القاعدة، على الأقل في بعض جوانب تاريخ ظهورها . بمعنى أن مملكة كندة قد ظهرت قبل نهاية القرن الثاني الميلادي بوقت طويل، وأنها قد نشأت على أنقاض مدينة تجارية كانت تقع في تلك المنطقة التي تسمى "قرية"، باعتبارها محطة على "طريق البخور" . فهي لذلك مدينة بظهورها للدور الذي قامت به، في خدمة القوافل التجارية، والذي استمر مئات السنين . بمعنى أنه كان ظهور كندة مرتبط بعوامل **موضوعية**؛ أبرزها كمدينة في طريق القوافل التجارية الذي لابد من القيام به على أكمل وجه . ومن ذلك تأمين مرور القوافل التجارية من أي تعدٍ عليها . **وذاتية**؛ لأن توفر الإمكانات المالية والاقتصادية، ووجود أكثر من قبيلة هناك، ربما دخلت في صراع فيما بينها على الثروة التي تحصل عليها من ضرائب مرور التجارة، الأمر الذي أدى إلى ؛ **إما** أن تتحالف قحطان وكندة من أجل إدارة المدينة وضواحيها، مقابل قبيلة مذحج الكبيرة . **وإما** أن سبأ قد تدخلت وفرضت ؛ قبيلة قحطان، كي تحكم الكل . وعندما بدأت تتمرد على السبئيين – على ما يبدو – بسبب قلة الدخل المالي الذي كانت تحصل عليه، أرسلت حملة عسكرية من قِبل السبئيين لتأديبها، بل وفرضت كندة

كحاكمة على قحطان ومذحج، وهكذا . خاصة إذا ما تذكرنا أن معظم القوافل التجارية في تلك الفترة كانت قد تحولت إلى الطريق البحري . كما أن المضايقات التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية من السبئيين ، وكذلك محاولتهم المستمرة في وضع الدول المنتجة للبخور تحت تأثيرها، قد أديا إلى أن تبحث تلك الدول عن طريق آخر لتصريف تجارتها بعيداً عن تأثير سبأ، وهو ما أكده ويسمان . إذ يرى أن أسباب الحملة التي أمر بها الملك السبئي شعر أوتر، كانت نتيجة للتحالف السياسي والعسكري الذي تم بين كل من كندة وأكسوم وحضرموت وبمباركة ودعم نجران [Wissman H. 1964, 432] .

وفي المصادر النقشية توجد إشارات عدة حول مملكة كندة، بعضها يعود إلى زمن حكم الملك السبئي شعر أوتر (Ja 635) وبعضها يعود إلى زمن حكم الملك الشرح يحضب وأخيه يازل بين، ملكي سبأ وذي ريدان [٢١١٠-٥٧٦ Ja] . وهناك نقش غير محدد بزمن، لكن المرجح أنه يعود إلى المرحلة البتعية ["بني بتع: قبيلة تنتمي إلى مجموعة قبائل سمعي التي عاشت حول صنعاء" Ja 634] . يشير أحد النقوش التي تعود إلى مرحلة شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان، بأنه أرسل حملات تأديبية ضد أمراء بعض تلك الممالك في وسط الجزيرة ومنهم ملك كندة، ربيعة آل ثور [Ja 635] . ففيه : ب ع ل ي / ر ب ع ت / ذ ا ل / ث و ر م / م ل ك / ك د ت / و ق ح ط ن / و ب ع ل ي / ا ب ع ل / هـ ج ر ن /ق ر ي ت م [الأسطر ٢٦-٢٨] . واضح أن هذه الأسطر تتحدث حول حملة عسكرية قامت بها القوات السبئية على قرية، حاضرة كندة وضد ملكها ربيعة آل ثور ؛ ملك كندة وقحطان . وفي الأسطر [٣٣-٣٥]، يقود أبكرب أحرس قوات شعر أوتر ؛ في حملة لمحاربة عشيرة يحابر التي كانت موالية لكندة . ويحابر هذه يبدو أنها من مذحج وأن مذحج — كما لاحظنا سابقاً — كان يحكمها ملوك من قحطان أولاً، ومن كندة ثانياً [٢١١٠ Ja، السطران ٨-٩]، م ل ك م / ب ن / ب د / م ل ك / ك د ت . ولعل الحديث يجري عن مالك بن بدة ؛ ملك كندة ؛ بمعنى أن الحكام كانوا من كندة، لكن مذحج كانت القبيلة الرئيسية هناك، ولا نعرف لماذا لم يبرز ملوك من بين أفرادها . على أن النقش [٦٣٤ Ja]، وهو يعود إلى المرحلة إياها التي كانت تعرف باسم المرحلة البتعية، يذكر فقط "قرية"، التي هي حاضرة كندة [السطران الرابع والخامس] . أما النقش [٥٧٦ Ja، السطران ٢-٣] فيتحدث عن حملة قامت بها قوات الملك السبئي

الشرح يحضب وأخوه يازل بين على كندة لتأديب ملك كندة وكبار قومها الذين أخلوا بالضمان الذي التزموا به للمقه عن امرئ القيس بن عوف ملك الخصاصات . وفي مأرب ظل ملك كندة وكبراؤها حتى أحضروا امرأ القيس . وبعدها دفعوا غرامة للمقه وللملكين السبئيين، يذكرها النقش بالتفصيل . وملك كندة هنا هو مالك بن بدة كما جاء في النقش . لذلك سعى، ملوك جنوب شبه الجزيرة على أن تبقى كندة ضمن حقل رقابتهم من ناحية، وعلىٍ وفاق معها على الناحية الأخرى . . ومع ذلك لم تدم تلك العلاقات السلمية طويلاً .

إن كندة، من المحتمل، قد استفادت من الفترة الممتدة منذ وفاة شعر أوتر وظهور الملك الشرح يحضب الثاني وأخيه يازل بين ؛ ملكي سبأ وذي ريدان، وهي فترة امتدت حوالي عقدين من السنين . وحاولت مد جسور العلاقة من جديد مع الحلف السابق الذي ذكرناه قبل قليل (حضرموت وكندة وأكسوم ونجران)، كي تتحلل من التزاماتها تجاه سبأ . أو ربما دخلت قوىً جديدة على الخط، لتساعد كندة على فك ارتباطها بسبأ، مثل حمير . ولهذا السبب أرسل الملك السبئي الشرح يحضب، بعثة دبلوماسية إلى الحارث بن كعب ملك الأسد، وإلى مالك بن بدة، ملك كندة ومذحج، وإلى آخرين غيرهما في وسط شبه الجزيرة العربية [Ja ٢١١٠ ؛ على أن مهمة تلك البعثة ليست واضحة ولكن من المؤكد أن حمـــاية القوافل التجارية والتحالفات السياسية كانت حاضرة . خاصة إذا كنا نعرف أن الصراع السبئي الحميري كان على أشده في تلك الفترة ؛ أنظر : الأسطر ٨–١٠ في النقش ذاته، كذلك : م. بتروفسكي، ١٩٨٥، ١٨]، يخطب ود هذه الممالك، وفي مقدمتهم كندة . لقد كانت تلك القبائل ومعها أمراؤها مضطرة على أن تبقي على نـــوع من العلاقات، ســـواء مع ســـبأ أو مع حمير فيما بعد [Wissman H. ،١٩٦٤ ،٤٧٤] .

لذلك فإننا نعتقد أن العصر الأول من تاريخ دولة كندة قد اقتصر على علاقات هذه الدولة بالسبئيين وبعض الممالك الأخرى كمملكة حضرموت، وأن المعلومات المستقاة من المصادر النقشية، التي أوردناها سابقاً لايرد فيها ذكر للحميريين . ربما لأن سبأ ارتبطت مع كندة باتفاقيات ألزمتها بعدم الخروج عنها . بالرغم من أنها كانت قد حاولت أن تتحلل من التزاماتها التي كانت مع سبأ (كما سبق) . إلا أن الملك الشرح يحضب وأخيه

يازل بين، ملكي سبأ وذي ريدان. ربما رجحا أن القوة وحدها ليست ناجحة في كل الحالات، ولذلك عادا واتبعا سياسة سلمية مع كندة. ومن ثم أرسلت سفارة إلى هناك عند منتصف القرن الثالث الميلادي [Ja ٢١١٠] . إن ذكر حضر موت في النقش [Ja ٦٣٤]. لأنها كانت إحدى الممالك القديمة التي تصدر "الطيوب" وأنها قد حاولت غير مرة أن تقيم علاقة مباشرة مع بعض من تلك الممالك. لكي تتمكن من تصريف منتجاتها بعيداً عن تأثير سبأ . فضلاً عن ذلك فإن العلاقات التجارية الدولية للحميريين كانت — على الأغلب — تتم عن طريق البحر . إلا أن المعادلة تغيرت بشكل جذري مع نهاية القرن الثالث الميلادي، حين توحدت سبأ مع حمير وأصبحت الدولة الحميرية هي القوة المسيطرة على الأمور فيما يعرف بالمرتفعات الغربية . وكون مملكة كندة في عصرها ذاك قد تأسست من اتحاد ثلاث قبائل هي ؛ قحطان ومذحج ثم كندة وقحطان وأخيراً كندة ومذحج . وبسبب التحالفات التي كانت قائمة بين سبأ وحضر موت من جهة وبين كندة ومعها نزار والأسديون، فإنه يمكن لنا أن نتفهم الجو العدائي الذي حدث من هذه القبائل، ضد الملك الحميري شمر يهرعش بعد توحيد سبأ وحِمْيَر، وإجبار حضر موت على الخضوع للدولة الحميرية .

كندة خلال القرنين الرابع والسادس الميلاديين :

خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وتحديداً حتى العقد الأخير من القرن الثالث لم يعثر الباحثون — إلى الآن على الأقل — على مصادر نقشية تتحدث عن علاقات الدولة الحميرية مع دولة كندة . وفقط في العقد الأخير منه، وذلك عندما انتقل الملك شمر يهرعش إلى مأرب، لمتابعة القوات الحميرية وحلفائها من الأعراب في أثناء تقدمها شرقاً نحو حضرموت. بدأت النقوش تتحدث عن علاقات حمير مع قبائل وسط شبه الجزيرة العربية . بمعنى أنه في أثناء حرب الملك الحميري شمر يهرعش (عند بداية القرن الرابع الميلادي) على حضرموت وبعدها، حدثت "حركة تمرد واسعة بين أعراب وسط شبه الجزيرة العربية"، وكذلك قبائل السراة . وبذلك توجهت مجموعات كبيرة نحو الجنوب لتتجمع كلها عند جوف صعدة [Ja ٦٥٨ و٦٤٨]، قارن كذلك :

مهيوب غالب أحمد،٢٠٠٣، ١٧١] . ثم اتجهت مجموعة أخرى بقيادة الحارث بن كعب ملك الأُسد [٦٦٠ Ja الأسطر ١١-١٣]، إلى مأرب مباشرة، وبعد عدة مناوشات هناك، تم أسر الحارث وسجنه لدى الملك شمر يهرعش (السطران ١٨-١٩) [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٢٣٥]، في سجن مأرب، والذي ذكر كذلك في نقش (عنان ٢٢) بـ "ذ خ ز ف ن" . وكان من الطبيعي أن تشترك مع مجموعة مالك، تلك العناصر القبلية التي ارتبطت بمصالح اقتصادية مع كل من نجران وحضرموت [مهيوب غالب أحمد . ١٧١، ٢٠٠٣] . إذ أننا نعرف أن ملوك حضرموت كانوا، خلال القرنين الثاني والثالث، على علاقة جيدة مع ملوك قبائل وسط شبه الجزيرة، وكان من بين العناصر التي تقع ضمن دائرة نفوذهم، جماعات أعراب وقرشيين وأزديين كثيرين . مع العلم أن الأزد كانوا متحالفين في فترة من الفترات مع حضرموت [٩٥٧ Ja]، وارتبطوا مع أحد ملوك حضرموت بعلاقات زواج . في الوقت نفسه يشير أحد النقوش [شرف الدين ٣٢، السطر ٤] ؛ إلى أن كندة قد وقفت إلى جانب الملك شمر في حربه ضد حضرموت وذلك عندما أرسلت وحدة من جيشها للقتال معه . مع العلم أن نقشاً آخر هو ؛ [بيحان ٥، السطر ٧] يشير إلى أن كندة أيضاً وقفت إلى جانب حضرموت . فهل كتب النقشان في وقت واحد، أم أنه يوجد فارق زمني بينهما، حدث خلاله تطور معين استدعى انتقال كندة من موقع لآخر؟ .

إننا نعتقد أن المجاميع الكِندية قد حاربت في البداية مع حضرموت على أمل أنها ستسترد استقلالها كدولة . وعندما لم تتمكن من ذلك تحول الكنديون إلى جانب القوات الحمْيرية . وهذا ما ينسجم مع تطور الأحداث التي ترد في النقوش الثلاثة [بيحان ٥ وإرياني ٣٢ وجام ٦٦٥] .

على أن سير الأحداث قد أكد أن الوحدات البدوية ومنها بعض من جيش كندة ؛ قد قاتلت مع حضرموت لثلاثة عقود ضد الحميريين [س.فرانتسوف، ٢٠٠٤، ٦٨ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٨] . ومن جهته استغل الملك اللخمي امرؤ القيس بن عمرو الوضع المضطرب في جنوبي شبه الجزيرة وانتقال القوات القبلية لكثير من الممالك في وسطها إلى مأرب، وقام بحملات عسكرية عليها حتى وصلت قواته إلى مشارف نجران

(نقش النمارة والفاو، والذي سنأتي على ذكره لاحقاً) . وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي تمكن شمر يهرعش من توحيد معظم مناطق جنوبي بلاد العرب، ضمت أراضي الدولتين ؛ الحميرية والسبئية وجزءً كبيراً من أراضي مملكة حضرموت .

قرر بعد ذلك — على ما يبدو — الملك الحمْيري أن يحل المشكلات التي برزت في طريق القوافل التجارية، التي كانت تخترق شبه الجزيرة العربية، جيئة وذهاباً . ومن ثم تسوية علاقاته مع الدولتين الكبريين (بيزنطة وفارس) آنذاك من موقع قوي . ومن هذا المنطلق يجب أن ننظر إلى النشاط العسكري والدبلوماسي لصاحب نقش شرف الدين، والذي كان يدعى ريمان ذو حز فر [Sh ٣١]، وأن الحملات العسكرية التي قادها هذا القائد والموظف ضد كل من سهرتا وقبيلة الأسدين، إنما كانت بتكليف من سيده شمر يهرعش ؛ ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنة . وقد تمكن ريمان من إخضاع قبيلة الأُسديين وأسر ملكها — كما ذكرنا سابقاً — ويبدو أن ريمان كان على دراية بتلك المناطق التي كلف بالسفر إليها في وسط الجزيرة العربية وشماليها . وعند مقابلته لملك الأسد نلاحظ أنه تقابل مع مالك بن كعب وليس الحارث، الأمر الذي يعني أن قبيلته (سيجري الحديث عن الأسد لاحقاً) ؛ إما أنها قد استبعدته، وإما أن المهمة التي قام بها ريمان تمت بعد أن كان قد توفى الحارث أو اختفى من المسرح السياسي . ثم واصل ريمان رحلته فبلغ مناطق جنوبي العراق [م. بتروفسكي ١٩٨٥، ١٨ ؛ كذلك أ. لوندين ١٩٧٤، ٩٥-١٠٤] . أي أن الدبلوماسي الحميري قد وصل إلى طيسفون (المدائن، عاصمة فارس) وكوك وتنوخ (وهي مدينة ؛ كانت تقع في عمق الأراضي الفارسية حينذاك)، في جنوبي العراق . إن التنوخيين — حسب بعض المعلومات — قد انتقلوا في مطلع القرن الثالث الميلادي من الاحساء (البحرين) إلى الحيرة، مستغلين صراع الفرس فيما بينهم (الفرثيين والساسانيين) على الحكم [أحمد ارحيم هبو، ١٩٩٠، ١١٦ ؛ كذلك عبد الله الشيبة، ١٩٩٠، ٣٨٢] .

وبالنتيجة أراد شمر أن يسوي علاقاته الإقليمية والدولية انطلاقاً من مصالح الدولة الحميرية وتحالفها — ربما — مع الرومان، وغيرهم، وذلك من أجل تأمين مرور القوافل التجارية التي أعادت نشاطها من جديد، بعد أن كانت قد توقفت بسبب الحروب والاضطرابات التي جرت ؛ في وسط شبه الجزيرة وفي جنوبيها، وعرفنا أحداثها من

خلال المصادر النقشية [جام ٢١١٠ وجام ٦٦٠ وشرف الدين ٣١ وغيرهم] . والملاحظة المهمة هي أن مبعوث شمر "ريمان"، قد بدأ رحلته إلى فارس وقابل هناك مسئوليها أولاً. ثم توجه إلى مملكة الحيرة ثانياً . ومفهوم هذا الموقف باعتبار أن الحيرة مملكة ترتبط بتحالف، من نوع ما، مع فارس، وتسوية العلاقة مع فارس تعكس نفسها مباشرة على العلاقة مع الحيرة . وكما هو معروف فإن شمر اهتم كسابقيه "بما تسميه النقوش اليمنية ممالك شامة العربية ومنها نزار" [محمد عبد القادر بافقيه ٢/٧، ٢٠٠١و ٣١] . لذلك دخلت هذه المملكة ضمن مهمة ريمان السياسية في أثناء زيارته التي كلفه بها سيده شمر يهرعش . وأخيراً ربما أراد شمر يهرعش الاتصال مباشرة بروما من أجل إضعاف التواجد الأكسومي في العربية الجنوبية (اليمن القديم)، إذ أن التواجد الأكسومي بدأ يخفت في تلك المرحلة ، خاصة بعد أن تمت مطاردتهم حتى عدن، وتصفيتهم من قبل الوحدات الحميرية بقيادة القائد العسكري الحميري "حظين أوكن" في أثناء فترة حكم الملك ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان .

خلال القرن الرابع الميلادي، وبعد اختفاء الملك شمر يهرعش، حكم الدولة الحميرية ملوك أمثال ؛ ياسر يهنعم الثاني وذمار علي يهبر، ثم ثاران يعب يهنعم بن ذمار علي يهنعم ومن بعده — على ما يبدو — ملكي كرب يهامن بن ثاران يهنعم، وأخيراً الملك أسعد الكامل (أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن) . وبالرغم من أن موضوع فترات حكمهم ؛ تنحصر في الداخل، باستثناء ابي كرب أسعد، بسبب المشكلات التي حدثت من قبل الأعراب في الشرق (حضرموت) وفي السهل الساحلي الغربي . لذلك لم نتعرض لهم في هذا البحث، إلا أننا ذكرناهم لمعرفة تسلسلهم فقط .

لقد استمرت جيوب المقاومة ضد الدولة الحميرية في عصر الملك شمر يهرعش وجانب من فترات حكم خلفائه، سواءً في الشرق حضرموت والمهرة أو "في جبال السراة (عسير) وفي منطقة الغور الغربية المتاخمة لها من ناحية البحر (تهامة، خاصة تهامة الشام)" [محمد بافقيه، ١٩٩٣/٢، ١٨٢] . فضلاً عن ذلك تكررت التحرشات العسكرية التي كانت تقوم بها قبائل نزار ومعد على الحدود الشمالية للدولة الحميرية، بعد أن كان قد أخضعهم لسلطته امرؤ القيس بن عمرو (حسبما سيأتي فيما بعد) . كان كل ذلك على حساب ترتيب أوضاع القبائل الحليفة لحمير في وسط شبه الجزيرة وشماليها، الأمر

الذي انعكس سلباً على طريق القوافل التجارية البرية . إن غياب الإشارات حول كندة جانباً كبيراً من القرن الرابع الميلادي، وحتى ظهورهم كزعماء على معد، إنما مرده إلى أن أعراباً من كندة ومذحج ومن قبائل أخرى. هي (ح ر مم و ب هـ د ل م و ز ي د إل)، أي قبائل حريم وباهل وزيد الله (ابن سعد العشيرة) ، قد شكلت قوام جيش الأعراب الذي قاتل مع الحميرين ضد حضرموت في عهد الملك ياسر يهنعم وابنه ذرأ أمر ؛ ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة [٦٦٠ Ja السطران ٧-٨] . وهي كلها — تقريباً — قبائل تابعة لكندة . تولى قيادة ذلك الجيش سعد طالب يتلف الجدني [٦٦٥ Ja الأسطر ١-٤]، وكان مركزه مدينة نشق في الجوف [السطر ١٣] . أيضاً حارب الأعراب إلى جانب حمير في المناطق الغربية والشمالية الغربية . وعندما تم إخضاعها كاملة، كافأ ملوك حمْير كندة (أسرة حجر بن آكل المرار) بإعطائها حكم معد [محمد بافقيه، ١٩٩٣/٢، ١٨٣] .

إن غياب المعلومات التي تتحدث عن دور حميري في وسط شبه الجزيرة وشماليها، خلال الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي، إنما مرده إلى أن الحميريين كانوا منشغلين بإخماد التمردات الداخلية التي استمرت — على ما يبدو — لأكثر من ثلاثة عقود . الأمر الذي أدى إلى طغيان أخبار حرب امرئ القيس اللخمي، التي "استهدفت مملكة نزار ومعد التي امتدت نحو الجنوب الغربي لتطال مذحج وتبلغ أسوار نجران (بحسب نقش النمارة)" [محمد بافقيه، ٢/٧، ٢٠٠١، ٣١] . لكن عهد الملك ثاران يهنعم وابنه ملكي كرب ؛ ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة، واللذين حكما عند منتصف القرن الرابع ، شهد بداية الاندفاع نحو وسط شبه الجزيرة وشرقيها .

إن الحملات العسكرية التي قادها صاحب نقش عبدان الكبير وأولاده كانت تستهدف ؛ مناطق في شرقي شبه الجزيرة العربية ووسطها، بل ويشير بعض الباحثين إلى أن إحدى تلك الحملات قد بلغت شمالي الجزيرة العربية، أي أطراف الشام [ناصر يسلم حبتور، ٢٠٠٢، ٢٨٢-٢٨٣] . بمعنى أن تلك الحملات كانت قد استهدفت أراضي تلك القبائل التي ناصبت الدولة الحميرية العداء في أثناء عملية توحيد أراضي حمير وسبأ وحضرموت، عند نهاية القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الميلاديين . لذلك سوف نستعرض تلك الحملات، باختصار شديد .

الحملة الأولى : وهي تلك التي قادها ملشان وابناه ؛ خوليم وشرحبيل، وانطلقت إلى حضرموت وهناك انضم إليها أعراب كانوا موجودين في حضرموت . ثم اتجهت نحو المهرة ومنها نحو الربع الخالي والأوعار حتى وردوا يبرين . ومن يبرين اتجهت الحملة نحو اليمامة، هناك ربما عبثوا فيها ببعض ما لدى القبائل "... ... ب ن / ع ر ب ن /ا س ... /شرقن" حتى وصلوا موضعا سماه النقش أكلاء هجر (السطران ٧-٨)، وهي - على ما يبدو - من المواضيع التي كانت تتبع اليمامة . على أن بافقيه يشير إلى أنها منطقة — على ما يبدو — تقع في أراضي نزار . وهنا يقول بافقيه أن الحملة ربما كانت تستهدف إضعاف نزار تمهيداً لإخضاعها [محمد بافقيه ٢/٧، ٢٠٠١، ٣١] .

الحملة الثانية : قادها خوليم وشرحبيل ؛ كلاهما ابنا ملشان . وكانت وجهتها منطقة سماها النقش "إياد" وفيها تم أسر "ثعلبة بن سلول سيد إياد" [السطر ١٣] .

الحملة الثالثة : وقد قادها الملك ثاران يهنعم شخصياً، وقد اتجهت صوب مناطق الأُسديين [السطران ١٦-١٧] .

وقد اتجهت **الحملة الرابعة** نحو الجون والخرج في اليمامة، وهنا تقاتلوا مع الأحمس خارجة وعشيرة بني معد [السطران ١٧-١٩] .

وأخيراً فإن **الحملة الخامسة** قد اتجهت نحو بلاد معد، العدو الرئيسي للحميريين [السطران ٢٧-٢٨] . ونلحظ اسماً لمنطقة يذكرها الباحثون ضمن المناطق التي حاربها معدي كرب ومرثد . وشارك معهما في ذلك شعوب المشرق وضيفتن وكندة ومذحج، تلك هي منطقة "السي" [السطر ٢٩]، وهي منطقة تقع "بين أراضي نزار وغسان" [محمد بافقيه، ٢/٧، ٢٠٠١، ٣٥] .

التطورات السياسية والعسكرية عند نهاية القرنين - الرابع والخامس :

تغطي هذه المرحلة، والتي حكم فيها أب كرب أسعد وخلفاؤه، جانباً من القرن الرابع والقرن الخامس كاملاً . وقد شهدت المملكة الحميرية في عهد أسعد ذروة

ازدهارها . ولذلك تردد اسمه في الموروث الشعبي العربي. بوصفه أعظم حكام جنوبي الجزيرة العربية في عصر ما قبل الانتقال إلى العصور الوسطي . استطاع أسعد أن يوسع نطاق نفوذ الدولة الحميرية إلى أعالي نجد . ويذكر أنه وصل إلى يثرب "وهناك تحول إلى اليهودية". بالرغم من عدم توافر المصادر النقشية التي تتحدث عن ذلك [كلاوس شيبمان، ٢٠٠٢، ٨٤-٨٥ ؛ كذلك : م. بتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٥-٦٧] .

وفي رواية للطبري أوردها، اولندر جونار في كتابه : "ملوك كندة" يشير إلى أن "تبعاً بن كرب الذي "كسا الكعبة" هو أول من ثبت حُجراً بالحجاز على قبائل "معد بن عدنان" وذلك بالاتفاق مع ممثلي كندة [G. Olinder,١٩٢٧,٣٩] .

فبعد أن تم إخضاع تلك المناطق التي ناصبت ملوك حمْير العداء، سواء على مستوى الداخل (حضرموت الداخل ومناطق السراة والغور الغربي) أو على مستوى الخارج (تلك القبائل التي أخضعها امرؤ القيس اللخمي، والتي امتدت حتى أسوار نجران)، أدخل الملك أب كرب أسعد آخر الإضافات على اللقب الملكي، وهي عبارة ؛ وأعرابهم في الجبل والسهل (طوداً وتهامة) . وهنا أصبحت الظروف السياسية والعسكرية مهيأة، أمام الملك أب كرب أسعد الذي لقب بـ "أسعد الكامل"، لمواصلة الاندفاعة الحميرية نحو وسط شبه الجزيرة وشماليها، من أجل إتمام تلك العملية التي كانت قد بدأها أسلافه (الملك ثاران يهنعم وابنه ملكي كرب يهامن) . بمعنى أنه حان الوقت لتصفية الحساب مع تلك القبائل، التي شكلت على مدى أكثر من ثلاثة عقود، مصدر تهديد لحدود الدولة الحميرية الشمالية والشرقية ولمصالحها التجارية ومصالح حلفائها على طول الطريق التجاري الدولي الممتد من نجران وحتى مناطق الهلال الخصيب ومصر وحوض البحر المتوسط .

تابع الملك أسعد الكامل قيادة الحملات العسكرية إلى أواسط شبه الجزيرة . وكانت ضمن عناصر جيشه — كما سبق الحديث — قبائل بدوية ونصف بدوية، وكانت كندة العمود الفقري لقوات تلك القبائل . ومن أبرز الحملات التي قادها أسعد ؛ تلك التي دونها ذلك النقش الذي تم العثور عليه في وادي ماسل [Ry ٥٠٩]، وفيه يجري الحديث عن أن الملك أسعد وابنه حسان قاما بحملة عسكرية على مناطق وسط شبه الجزيرة . وقد اشترك معهما في القتال وحدات من كندة . ويبدو أن الملك أسعد قد نصب حُجَراً بن

عمرو بن آكل المرار ملكاً على كندة ومعد، في عهدها الجديد أو "دهرها" الثاني (حسب أبو الغيث) . أي أن أعراب كندة أعادوا سلطتهم من جديد في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وفي مرحلة حكم الملك أسعد الكامل نفسه، نجد أن الاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها بلاد العرب الجنوبية وبعض المناطق الوسطى من شبه الجزيرة العربية، قد أجبرت شطراً من قبائل كندة، الموجودة في جنوبي ووسط شبه الجزيرة كي يهاجر إلى مناطق بعيدة في الشمال . أي أنه بلغ ؛ نجداً والعراق وفلسطين وفينيقية (بلاد النخيل) وسورية [G. Olinder، ٣٤ ٣٢] . بمعنى أن ذلك القسم من كندة كان قد ثبت أقدامه على تخوم الإمبراطورية البيزنطية وصاروا دعامة لها في مجاهدة النفوذ المتصاعد للخميين [بيجوليفسكايا ن. ١٩٨٣، ١٥٤] . الذين كانوا متحالفين مع إيران . بل إن الحارث بن عمرو الكندي شغل — تقريباً — في بداية القرن السادس الميلادي، كل مناطق اللخميين . وشغل الشطر الآخر من كندة المنطقة التي كانت تابعة لمعد، وكان مركزهم بها في مدينة غمر ذي كندة الواقعة بالنواحي الجنوبية الغربية من نجد . ومن ثم أصبحوا حكاماً عليها [بيجوليفسكايا ن. ١٥٣–١٦٥ ؛ كذلك سرجي فرانتسوف، ٢٠٠٤، ٧١ ؛ كذلك محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٩٣، ١٨٣ ؛ كذلك الهمداني، ١٩٦٤، ١٥] . إن حُجراً بن آكل المرار كان من أكثر ملوك كندة مهابة في ذلك العصر . على أنه توجد معلومات بحاجة إلى تأكيد ؛ تشير إلى أنه سبق حُجراً ملوك آخرون على كندة، بلغ مجموعهم مائة وعشرين ملكاً [بيجوليفسكايا، ١٥٤] . وهذا يعني أن تواتر المعلومات المتعلقة بفترة حكم حُجر على معد من قبل الإخباريين تحتاج إلى تدقيق، إلا أن الكل يتفق على أن حُجراً قد حكم معد بمؤازرة الملك الحميري (أسعد الكامل) . وتنقل بيجو ليفسكايا عن الأصفهاني حديثه ؛ عن حُجر فتشير إلى أن الكنديين ربما اصطدموا هناك بعشيرة قوية هي ضجعم وسليح، وكان لابد من التخلص من هذه العشيرة . وأنه نشب نزاع بين حُجر وأحد قادة عشيرة سليح (كان اسمه زياد) أدى إلى مصرع زياد [بيجوليفسكايا ن. ١٦٦] . وهنا يقول كريستيان روبان : "أصبحت الإمبراطورية (يقصد الحميرية م.غ.)، إذن، تشمل منذ ذلك الحين عدداً كبيراً من القبائل العربية التي بدأت تختلط بالقبائل اليمنية التقليدية . ويمكن التأكيد أنها قد أصبحت دولة مزدوجة التركيب القبلي . وقد سمحت لها سيطرتها على عدد كبير من القبائل البدوية أن تتدخل أبعد فأبعد في أواسط شبه الجزيرة العربية ضد أسد، أو غسان، أو

نزار، أو معد، أو بني عامر (بن صعصعة)، وحتى في شرقي شبه الجزيرة ضد أياد وعبد القيس [ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٩] . بمعنى أن الحميريين شعروا أنهم أصبحوا أسياد المنطقة وأنهم يستطيعون مد نفوذهم من جنوبي شبه الجزيرة إلى شماليها، ومن غربيها إلى شرقيها . وعندما يقول روبان : "تختلط بالقبائل اليمنية التقليدية" أعتقد أنه يقصد بعض القبائل التي خضعت لحمير، والتي ربما كانت غير عربية جنوبية، وهو ما لايتفق مع كثير من المصادر الإخبارية [روبان، ٩٣] .

بعد تحرك قبائل كندة نحو الشمال إلى تلك المناطق التي شغلتها في وسط الجزيرة العربية وشماليها، جزءً من عملية طويلة امتدت قرون عديدة . فبعد أن تمكنت الوحدات التابعة لكندة من القتال إلى جانب القوات الحميرية، ضد تلك القبائل التي قاتلت الحميريين في شرقي شبه الجزيرة ووسطها ؛ حسبما جاء به نقش عبدان الكبير، بدأت عملية انتقال جديدة إلى الشمال وإلى الشرق . إن ذلك الانتقال لم يكن داخل الجزيرة العربية فقط، ولكن انتشرت قبائل عربية جنوبية في مناطق واسعة من الشرق الأدنى القديم .

وتشير بعض الأدبيات إلى أن العرب بقيادة امرؤ القيس الكندي قد استولوا على أراضي فلسطين وخليج آيلة (العقبة)، وفيه تم الاستيلاء على جزيرة يوتابة الواقعة في خليج آيلة ذاته . وقد كانت تراقب هذه الجزيرة كل الحركة التجارية في تلك المنطقة [بيجوليفسكايا ن. ١٩٨٣، ١٢٧ . لقد تم الاستيلاء على يوتابة سنة ٤٧٣ ميلادية] . ونحن نتفق إلى حد كبير مع ما أشار إليه بعض الباحثين من أن توسع اللقب الملكي الحميري ليشمل الأعراب في الجبل والسهل إنما هو خطوة على طريق التقارب بين سكان شبه الجزيرة العربية عموماً . فضلاً عن ذلك فهي خطوة تعكس مدى الدور الذي بات يلعبه الأعراب (البدو) [م. بتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٣ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٨٧، ٩٨ -٩٩ ؛ كذلك : عبد الله أبو الغيث، ٢٠٠٤، ٢٠] .

خلف حسان يهامن بن أبي كرب أسعد أبـاه، عند منتصف القرن الخامس الميلادي . ونحن نعرف حسان من خلال الموروث الشعبي لدى الإخباريين . إذ يذكره صاحب كتاب : "ملوك حمير وأقيال اليمن"، بأنه "هو الذي قتل جديساً باليمامة" . وحسب الرواية فإن عمليق ملك طسم وجديس كان يدخل على كل امرأة بكر تتزوج قبل

أن تزف لعريسها . وفي واقعتنا هذه فقد "تزوج رجل من جديس عفيرة ابنة عفار أخت الأسود بن عفار" أحد كبراء جديس، بل يقال كان رئيسها . وحينما أرادوا أن يزفوا عفيرة إلى عريسها قيل لها لابد من دخولك أولاً على عمليق . وقد كان بعد ذلك أن احتجت بصورة أظهرت فيها آل جديس بأنهم غير أحرار طالما يتم انتهاك حرماتهم من قبل عمليق . ثم تتابع الرواية سرد الموضوع، حتى تنتهي بالحديث عن أن جديس عزمت على الغدر بـ "طسم"، بسبب تلك الواقعة التي ذكرناها في بداية الموضوع . وتم بالفعل ذلك وعن طريق الغدر . لكن أحد رجالات طسم، وكان يدعي رياح بن مرة أفلت من الموت وأتى الملك حسان يهامن مستغيثاً، فوجـده بنجران معسكراً يريد التوجه إلى العراق . وهنا عزم حسان على رد الظلم الذي وقع على طسم، فأمر جيشه بالتوجه نحو اليمامة، وتمت تصفية جديس كاملة [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٣٨-١٤٢] . وعلى أية حال بالنسبة لما تبقى من قبيلتي طسم وجديس فقد توزعت بين القبائل وحلت محلها قبيلة بني حنيفة . ومعروف أن حسان قد حكم بمفرده لفترة قصيرة ربما امتدت نحواً من عقد ونيف . ولأن المصادر النقشية غير متوافرة من عهد حسان فقد اختفى بتلك الصورة التي رواها الإخباريون [ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٤٣-١٤٥] . ثم حكم الدولة الحميرية بعد حسان أخوه شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد .

في عهد شرحبيل يعفر : عثر الباحثون على عدة نقوش تعود إلى فترة حكم شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل، أبرزها ذلك النقش الذي دون فيه إصلاحاته في سد مأرب بعد تهدمه في القرن الخامس [CIH، ٤٥٠] . وهو يؤرخ بسنة ٤٥٧ ميلادية . وبالرغم من أنه قد قام بإصلاحات عدة إلا أن هذه الرقوم النقشية لم تشر وإن بصورة غير مباشرة عن علاقات الدولة الحميرية بقبائل وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها . ربما أن الأمور كانت مستتبة للحميريين هناك وربما أن الدولة الحميرية بدأت تواجه متاعب داخلية، الأمر الذي منعها من أن تتواصل مع تلك القبائل والممالك التي كانت قائمة في المناطق الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية . إن الغموض الذي بات يلف الثلث الأخير من القرن الخامس، لم يمكن الباحثين من التتبع الدقيق للنصف الثاني من هذا القرن . على أن الأدبيات قد أشارت إلى بعض التمردات التي بدأت تطل برأسها هنا

وهناك عند ملتقى القرنين الخامس والسادس الميلاديين . وهو ما سيجري الحديث عنه أدناه .

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تعقد الوضع السياسي والعسكري حول الدولة الحميرية . إننا نعرف أن الديانات السماوية (التوحيدية) بدأت تتغلغل في جنوبي شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثاني الميلادي [مهيوب غالب أحمد، ١٩٩٠، ١١٢-١٢٣ ؛ كذلك : ك. روبان، ١٩٩٩، ١٨٥]، وأنه تم الاعتراف بالمسيحية، بصورة رسمية، من قبل حمير، في منتصف القرن الرابع [مهيوب غالب أحمد،٢٠٠٤، ١٢٥-١٢٦] . وأخيراً تم الاعتراف باليهودية في مطلع القرن الخامس الميلادي من قبل الملك أب كرب أسعد الكامل، بل ذهبت بعض الآراء إلى القول أن أسعد قد تهود وهو ما لايمكن التثبت منه [م. بتروفسكي، ١٩٨٤، ٦٧ ؛ كذلك : بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٦٠] . مثّل انتشار الديانات التوحيدية بجنوبي شبه الجزيرة العربية أحد الأسلحة التي استخدمت في الصراع – غير المباشر بين الدولتين الكبريتين (بيزنطة وفارس) في النصف الأول من الألف الأول الميلادي – من أجل السيطرة على طرق التجارة الدولية في ذلك الوقت . وكان الصراع سجالاً بين ممثلي الديانتين . في البداية كانت الغلبة للمسيحية، وتحديداً للاتجاه المنوفيزي فيها، ثم تراجعت هذه الديانة بعض الشيء خلال القرن الخامس أمام اليهودية . لكن المواجهة اشتدت بين هذين الاتجاهين إبان القرن السادس الميلادي، وقد اشتركت فيها كافة القبائل العربية (الأعراب) في وسط شبه الجزيرة وشماليها، وبالذات أثناء حكم الملك معدي كرب يعفر وبعده .

كندة خلال الربع الأول من القرن السادس الميلادي :

سبق الحديث عن أن الدولة الحميرية قد شهدت فترة غموض، عند ملتقى القرنين الخامس والسادس الميلاديين لعدة أسباب . منها مثلاً، ما تشير إليه بعض الأدبيات ؛ من أن بلاد العرب الجنوبية في بداية القرن السادس الميلادي كانت شبه مجزأة ؛ بين ثلاث قوى؛ اليزنيون في الشرق . أي أنهم سيطروا على كل أراضي حضرموت . وكانت الهضبة الغربية تحت سيطرة الملك معدي كرب يعفر، الذي كان لايزال يدعى ملك سبأ

وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودا وتهامة. بحسب النقش [Ry ٥١٠] . أما القوة الثالثة فقد كان يمثلها الأحباش في السهل الساحلي الغربي . بل ويستشف من هذه الأدبيات أن أجزاء من الهضبة الغربية كانت تحت تأثير الأحباش [ينبق ٤٧ وجام ١٠٢٨ ؛ كذلك محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٩٣، ٨٦، ١٦١، ١٦٤] . ومن أساس كتابة نص النقش [Ry ٥١٠] يتضح ؛ أن الملك معدي كرب يعفر لا ينحدر من سلالة ملكية، وإلا لكان قد ذكر اسم أبيه بعد اسمه فيه، كما جرت عادات كتابة النقوش اليمنية القديمة . ويعتقد بعض الباحثين أن معدي كرب كان مسيحياً ذا اتجاه منوفيزي . ويبدو أن هؤلاء الباحثين قد اعتمدوا على تلك المعلومات التي تشير إلى أن معدي كرب قد حصل على دعم من بعض مسيحيي نجران، وبالذات في أثناء حملته على اللخميين وحلفائهم [أ. لوندين ٧٨/٨، ١٩٦١، ١٢٣ ؛ كذلك عبد الله أبو الغيث، ٢٨ ؛ كذلك إيفونا غايدة، ٢٠٠٦، ٨٠]، الذين ذكروا في نقش ماسل الجماح . ولأن الاتجاه المنوفيزي كان هو السائد بنجران فقد صنف معدي كرب على أنه من أنصار هذا الاتجاه، وهو اتجاه مسيحي كان سائداً في الحبشة . كذلك اعتبر معدي كرب ذو اتجاه موال للأحباش، كونه قد سمح لهم بالتدخل في اليمن، تحت ذريعة حماية المسيحيين في ظفارً وتهامة ونجران . ومن هنا صنفه يوسف أسار يثار في رسالته التي بعث بها إلى المنذر الثالث، ملك الحيرة، بأنه تابع للحبشة (سنأتي على ذكرها لاحقاً) .

برز خلاف بين الباحثين حول قراءة النقش ، ترتب عليه رأيان رئيسيان حول أحداثه . ونحن هنا لسنا بصدد مناقشتهم ولكن المرجح أن الملك معدي كرب قد قام بحملة عسكرية إلى ماسل الجمح، بناء على طلب من حلفائه هناك "عرب قسدم — المستعمرات العسكرية" الذين أغار عليهم المنذر الثالث ملك اللخميين . وكان ضمن قوام الجيش الحميري ؛ قبائل سبأ وحمير والرحبـــة وحضر موت ويحان (؟)، وقبائل أعرابهم ؛ كندة ومذحج وبني ثعلبة ومذر ورسبع .

وقد خط النقش في شهر ذو القيظ، سنة ٦٣١ من التقويم الحميري والذي يوافق ٥١٦ ميلادي . ويعد الهجوم الذي شنه المنذر الثالث على المناطق الداخلية للكنديين استمراراً للصراع الذي بدأه الحارث بن عمرو في بداية القرن ضد اللخميين في الحيرة

ذاتها. ومن ثم طردوا من هناك . وكانت الغارة التي قام بها المنذر الثالث على كندة، بمثابة رسالة، أيضاً. موجهة للحميريين في اليمن وحلفائهم البيزنطيين على المستوى الدولي . لكن الحرب انتهت بعد ذلك بتوقيع اتفاق سلام يدفع بموجبه (المنذر) إتاوات، للحميريين . مع أن ذلك — كما يبدو — كان لفترة وجيزة .

إن إعلان الحرب أو قيادة حملة عسكرية على منطقة ما قد لا تعني الرغبة في التوسع، ولكن ربما تكون الرغبة في تصدير المشكلات الداخلية لهذه أو تلك من الدول . وهي على كل حال تعني تهديداً من نوع معين إما داخلي أو خارجي، وهذا ما ينطبق على الفقرة التي نحن بصدد معالجتها هنا . ومن هذا المنطلق كان سبب قيام الحملة العسكرية التي قادها معدي كرب يعفر إلى وادي ماسل . نحن نعرف أن حمير في ذلك الوقت كانت في طريقها إلى الانهيار أو هكذا بدت الأمور . فقد كانت الأحزاب الدينية تتصارع فيما بينها على السلطة، وهي في نفس الوقت تمثل مصالح متناقضة تماماً : المصالح البيزنطية والحبشية من جهة والمصالح الفارسية من جهة أخرى، وكل ذلك كان على حساب هيبة الدولة الحميرية ووحدة قبائلها ومصلحة الدولة ككل . هذا على مستوى الداخل، وعلى المستوى الخارجي فنحن نعرف أن شطراً من كندة كان قد ثبت أقدامه في مناطق شمال شبه الجزيرة (فينيقيون — أرض النخيل)، وفي جزيرة يوتابة — كما أسلفنا في مكان سابق — وسواحل خليج العقبة . أي عند حدود بيزنطة مباشرة . ومن ثم دخلت هذه المجموعة الكندية في مواجهة مع اللخميين . وكان بنو ثعلبة وهم من أقرباء كندة في عداء مكشوف مع اللخميين، حتى أنهم شاركوا في القتال إلى جانب البيزنطيين في حربهم ضد الفرس، سنة ٥٠٣ ميلادية . بمعنى أنه في عام ٥٠٢-٥٠٣ جرت حرب طاحنة بين البيزنطيين والفرس بقيادة الشاهنشاه قباذ، شارك فيها اللخميون تحت قيادة النعمان بن المنذر إلى جانب الفرس، وشارك بنو ثعلبة الكنديون إلى جانب بيزنطة، وقد كانت الغلبة في هذه المعارك لصالح البيزنطيين . وفي هذه المعركة بالذات تمكنت مجاميع من بني ثعلبة من الوصول إلى حيرة النعمان بن المنذر وتمكنوا من نهبها مستغلين بذلك الاضطرابات المزدكية التي حدثت في إيران، وعدم تمكن الإيرانيين من إسناد حليفهم النعمان بن المنذر [بيجوليفسكايا ن. ١٧٥] . بمعنى أن طريق المصالح التجارية والاقتصادية التي كانت تربط جنوب شبه الجزيرة العربية مروراً بنجران

وأراضي كندة ومعد في وسط الجزيرة وحتى خليج العقبة والبتراء أو إلى العراق، ومن ثم حتى الأراضي البيزنطية كانت تحت رقابة حلفاء بيزنطة . لذلك كان لابد للدبلوماسية الإيرانية أن تنشط عن طريق تحريك عناصرها الموجودة في البيت الحميري من جهة وأن تدفع حلفاءها العرب للقيام بغارات انتقامية من كندة ومعد وبقية حلفاء حمير في تلك المناطق . أي أن الفترة الزمنية الممتدة من عام ٥٠٣ وحتى عام ٥١٦ سنة كتابة نقش ماسل الجماح، قد كانت كافية للقيادة الفارسية ولحلفائها العرب ونقصد بهم اللخميين، للإعداد والتجهيز للمعركة الانتقامية من البيزنطيين وحلفائهم في شبه الجزيرة العربية . ومن هنا نستطيع أن نتفهم أسباب الحملة العسكرية التي قادها معدي كرب يعفر وقبائله وأعرابهم بوصفه حليفاً لبيزنطة في جنوب شبه الجزيرة ووسطها، ضد المنذر الثالث ومن معه من الأعراب وهي في نفس الوقت رسالة موجهة ضد فارس وأحزابها في حمير وخارجها . فقد أقامت اليمن في ذلك الوقت علاقات واسعة على المستوى الإقليمي والدولي، وكانت حليفاً مهماً للحبشة وبيزنطة . وكانت مدينة نجران، المحطة المهمة التي تلتقي عندها القوافل التجارية والتي تتجه منها شرقاً وشمالاً . وكانت توجد فيها جالية تجارية كبيرة إلى جانب التجار اليمنيين، وفي الوقت نفسه كانت تمثل مركزاً للمسيحيين (المنوفيزيين) . فضلاً عن وجود كعبة للمسيحيين فيها . ولهذا السبب تحملت نجران العبء الأكبر من المتاعب التي واجهها المسيحيون أثناء حكم ذي نواس .

على أن التطورات السياسية التالية كانت قد جرت في غير مصلحة الملك الحميري . إذ يبدو أن الظروف السياسية كانت تختمر لصالح الاتجاه المعادي للبيزنطيين وحلفائهم في الحبشة وفي بلاد العرب الجنوبية ذاتها . ففي المنطقة الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية استمر العداء على أشده بين اللخميين وكندة، التي سيطر بعض من ملوكها على جزء من أراضي اللخميين، بقيادة الحارث بن عمرو – كما سبقت الإشارة – . وقد دعم الحارث موقعه في منطقة الأنبار بالعراق، مستغلاً بذلك الوضع العام الذي كان سائداً في أثناء الحركة المزدكية في إيران . وفي الوقت ذاته سيطرت لدى اللخميين بقيادة المنذر الثالث فكرة توجيه ضربة عسكرية لبلاد العرب الموالين لحمير، وأنهم بذلك سوف يوجهون ضربة لحمير ذاتها وجانباً منها لبيزنطة . وسيترتب على هذا العمل قلق أمني حول طرق التجارة . الأمر الذي أدى إلى تحرك مضاد من جانب

الحميريين سنة ٥١٦. وهو ما دونه نقش ماسل الجماح . وما حصل بعد ذلك في ظفار كان مفاجئاً . إذ تلاحقت الأحداث بصورة سريعة. وتم الاستيلاء على السلطة هناك من قبل يوسف أسار يثار، وهو شخصية اتفقت معظم المصادر ؛ النقشية والإخبارية، التي تناولت أحداث تلك الفترة، على أنه كان متهوداً [بيجوليفسكايا ن. ١٩٧٦، ١١٩ ؛ كذلك : مهيوب غالب أحمد، ٢٠٠٤، ١٢٨ ؛ كذلك ملوك حمير وأقيال اليمن، ١٤٥-١٤٩ ؛ كذلك : الدينوري، ١٩٦٠، ٦١ ؛ كذلك : الأزرقي، ١٣٥٢هـ، ٨١ ؛ كذلك إيفونا غايدة، ٨٠] .

ينحدر ذو نواس من عشيرة ذي يزن، حسب بعض الآراء، على أن باحثين آخرين يرون بخلاف ذلك أي أن ذا نواس كان ينحدر من عائلة الملك أسعد الكامل، لكن أمه كانت جارية يهودية من أصل أشوري [بيجو ليفسكايا ن. ١٩٧٦، ١١٩] .

وقد خلع الإخباريون على يوسف أسار يثار. اسم "ذو نواس" وكذلك ذكر باسم "ذي نواس" في بعض النقوش التي تعود إلى زمنه [Ry ٥٠٧-٥٠٨ و Ja ١٠٢٨] . وقد لقب هونفسه : ملك كل الشعوب [Ja ١٠٢٨/١-٢] . مغايراً بذلك التقليد الذي كان يتبعه ملوك حمير منذ مطلع القرن الرابع الميلادي . ربما لأن الكيان الحميري حينذاك كان قد تمزق، وبذلك كان استخدام اللقب الملكي الطويل غير مفيد . وهو يؤكد ما ذهب إليه الباحثون من أن حمير كانت قد وقعت تحت سيطرة أكثر من قوى عند بداية القرن السادس الميلادي [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٦٢ ؛ كذلك : بافقيه، ١٩٩٣، ٨٦، ١٦١، ١٦٤ ؛ كذلك : غايدة، ٨٠ ؛ كذلك ناصر حبتور٢٠٠٢، ٢٨٩] .

تمكن يوسف أسار في بداية سنة ٥١٧ ميلادية من الاستيلاء على القصر الملكي في ريدان — ظفار العاصمة الحميرية، بعد انقلاب نتج عنه — كما يبدو — اغتيال الملك معدي كرب يعفر [يوري كوبيشانوف، ١٩٨٠، ١١] . أي أن الاتجاه اليهودي في ظفار قد تمكن من السيطرة على السلطة فيها، وبدأ بانتهاج سياسة اقتصادية ودينية معادية للمسيحيين، وتالياً معادية للمصالح البيزنطية والحبشية، وهو مالم تكن بيزنطة والحبشة قادرتين على السكوت عليه [محمد فتحي الشاعر، ١٩٨٩، ١٧٤] . والأكثر من ذلك ؛ أن الجاليات اليهودية في شمال الجزيرة العربية، كانت تمتلك صلات من نوع ما مع ذي نواس الحميري، وكانت تلك الجاليات تبعث من حين لآخر بأحبار يهود ليقيموا فيها

في بلاط ذي نواس في ظفار [أغناطيوس يعقوب الثالث، ١٩٦٦، ٤٦-٤٧] . وبحسب بيجوليفسكايا فإن الجالية اليهودية التي كانت بطبرية، هي التي كانت ترسل بالأحبار إلى اليمن ليقيموا في "بلاط مسروق ذي نواس الذي عذب النصارى" [بيجوليفسكايا ن. ١٠٤] . كما يؤكد الأسقف شمعون الأرشمي وجود صلة بين اليهود في طبرية وبين نظام ذي نواس . وأن تلك الجالية كانت تبعث من حين لآخر أحباراً لإثارة الشغب ضد مسيحيي حمير [Simeon vescovo di Beth-Arsam, Ed. I. Guide, Roma, 1881, 4] .

فما هو إذن موقف كندة من هذه الأحداث ؟ إن الأدبيات التي تتعاطى مع أحداث المدة من ٥١٧ وحتى إسقاط نظام ذي نواس سنة ٥٢٥، لم تعطنا أية إشارات حول اشتراك وحدات من كندة في صراع ذي نواس مع خصومه على مستوى الداخل والخارج . صحيح أن أحد النصوص النقشية التي دونت في عهد ذي نواس، يذكر اشتراك أعراب من : كندة ومذحج ومراد إلى جانب الوحدات الحميرية المكونة من : همدان (بحضرها وأعرابها)، في قتال ضد الأحباش [Ry ٥٠٨/٧] . لكن الواضح أن تلك الوحدات من أعراب كندة ومذحج ومراد، التي كانت تعيش في شرق بلاد العرب الجنوبية ذاتها، ولم تكن من أعراب مملكة كندة، وبالتالي لم تشترك في المعركة .

ومثلها معد الواقعة في وسط شبه الجزيرة العربية . إذ أن القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الدولة الحميرية، وجدت نفسها في منتصف العقد الثاني من القرن السادس الميلادي في وضع هي أحوج ما تكون فيه إلى الحفاظ على إمكاناتها المادية والبشرية في سبيل مواجهة أي طارئ قد يحدث لها . وأن أعراب كندة، سواء الموجودين في جنوبي فلسطين وشرقيها (في يوتابة ؛ خليج العقبة وفي غيرها) أو أولئك الذين أقاموا لهم دولة في مناطق نجد (كندة ومعد)، قد وجدوا أنفسهم أمام النشاط اليهودي المؤيد لذي نواس ابتداء من طبرية مروراً بجاليات الحجاز وانتهاءً بالموجودين في ظفار — مضطرين للإبقاء على الحياد من جهة والحفاظ على قواتهم استعداداً لأي مواجهة من جهة أخرى . بمعنى آخر، بعد أن وجه يوسف ذو نواس نشاطه السياسي والعسكري ضد المسيحيين أينما كانوا، سواء في الداخل ؛ في ظفار وفي نجران [Ry ٥٠٧-٥٠٨ ؛

كذلك : Ja ١٠٢٨] أو في الخارج ؛ عندما أرسل مبعوثين إلى الحيرة يحرض المنذر الثالث لتصفية جيوب المسيحيين هناك [محمد فتحي الشاعر، ١٩٨٩، ١٧٦ ؛ قارن كذلك : عبد الله أبو الغيث ٣٤ ؛ كذلك : بيجوليفسكايا، ١٠٤-١٠٦] . أمام كل ذلك، كان لابد للكنديين من الوقوف على الحياد .

إننا نعتقد أن النشاط الدبلوماسي المكثف الذي قامت به الوفود البيزنطية في الحيرة قبل وأثناء انعقاد مؤتمر الرملة الذي التأم سنة٥٢٤ ميلادية والذي تمخضت عنه معاهدة سلام عقدت بين بيزنطة وإيران، قد كان له أثر كبير — ربما — في تجنيب حلفاء ملوك حمير السابقين أية غارات عسكرية، في الأقل إلى حين . فضلاً عن ذلك لعب الموقف الشجاع الذي وقفه المسيحيون في الحيرة مدافعين عن معتقداتهم الدينية، — عندما حاول المنذر الثالث أن يهددهم، بحسب طلب ذىنواس — دوراً كبيراً في إفشال أية محاولة للنيل من المسيحيين، سواء في الحيرة أو في المناطق الوسطى من شبه الجزيرة العربية . وأخيراً إننا نعتقد بأن توافر الرغبة لدى الفرس واللخميين من أجل عقد المعاهدة مع بيزنطة، قد أجلت أية نية في الحرب ضد الحميريين المعادين لذى نواس . ولم نجد في المصنفات السريانية والعربية أي نشاط يذكر للكنديين في تلك الفترة، أي منذ أن استولى الملك يوسف ذو نواس على السلطة في ظفار . وفقط دونت بعض المصادر والأدبيات معركة حدثت بين المنذر الثالث والحارث بن عمرو الكندي . فقد استغل الملك اللخمي انهيار المزدكية في إيران، عقب القضاء على زعمائها، وقام بتعقب الحارث الذي حاول الفرار من العراق . لكنه لم يفلح في ذلك، فقتل على يد المنذر سنة ٥٢٨ ميلادية [بيجوليفسكايا، ١٠٨] . والمعروف أن الحارث قاد شطراً من كندة إلى شمالي الجزيرة لبسط نفوذها هناك — كما سبقت الإشارة — . وكان مصرعه ليس فقط نهاية لطموح كندة في الحيرة، بل وكذلك خاتمة المحاولة التي قامت بها لبسط نفوذها على شمالي شرق شبه الجزيرة العربية . وبالرغم من محاولة البيزنطيين والوحدات العربية التي كانت موالية لهم من آل جفنة وغيرهم، الانتقام من المنذر واللحاق به وقتله إلا أنه تمكن من الفرار . بعد إسقاط حكم ذى نواس، وطلب الإمبراطور البيزنطي من الملك الحميري سميفع أشوع أن يعيد قيس بن سلام، قريب امرئ القيس الكندي، إلى موقعه في اليمامة .

سبقت الإشارة بأن نجران إحدى المحطات التجارية الرئيسية في شبه الجزيرة العربية، وفيها جالية تجارية أجنبية كبيرة، ومثلت كذلك مركزاً لتجمع المسيحيين من كافة الاتجاهات . ومن هنا كانت الهجمة اليهودية عليها قوية، سواء من الاتجاه اليهودي الحاكم في ظفار، أو من الجاليات اليهودية في أرجاء شبه الجزيرة . لذلك كان نصيب نجران، من الظلم والاضطهاد الذي واجهه المسيحيون في اليمن، بشكل عام، كبيراً . إلا أن العالم المسيحي لم يقف متفرجاً لما يحدث في اليمن، وشن على مدى سبع سنوات — تقريباً — حملة سياسية ودبلوماسية مكثفة على نظام ذي نواس، واستطاع أن يحيِّد ولو إلى حين حلفاءه في فارس وفي مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية . وفي الأخير تمكن أنصار بيزنطة والحبشة من إسقاط ذي نواس وإقامة نظام موال لهم في جنوبي بلاد العرب (اليمن) . في البداية مثّل رأس النظام أحد الأقيال اليزنيين، كان يدعى سميفع أشوع سنة ٥٢٥، وبعد حوالي عشر سنوات من ذلك التاريخ ؛ تولى السلطة أحد القادة الأحباش وكان يدعى أبرهة، والذي استمر في الحكم حتى بداية الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي .

في هذا الوقت تواصلت مملكة كندة . ففي ثلاثينيات القرن السادس الميلادي طلب الأمير والشاعر امرؤ القيس من الحميريين (طلب من القيل مرثد ذوجدن) أن يساعدوه في إعادة ولو جزء من كندة، لكنه لم يتمكن . وفي منتصف القرن السادس هاجرت بقايا الكنديين من وسط شبه الجزيرة إلى حضرموت . وعندما تسلم السلطة أبرهة عين يزيد بن كبشة قائداً عليها [٥٤١ CIH و م. بتروفسكي ١٩٨٥، ٢٢-٢٣ ؛ كذلك : سيرجي فرانتسوزوف ٢٠٠٤، ٧٠-٧١] . أما العديون الذين كانوا خاضعين لكندة منذ القرن الخامس، فقد تحولوا في عهد ذي نواس إلى حلفاء — على ما يبدو — للحيرة . لذلك استهدفت إحدى حملات أبرهة، في أثناء حكمه في صنعاء قبيلة معد [٥٠٦ Ry]، بوصفها حليفة للخميين . وقد جرت المعركةبين الجانبين في منطقة "حلبان" على الطريق إلى اليمامة . وبالنتيجة اضطر الأمير اللخمي عمرو بن المنذر أن يعقد معاهدة مع أبرهة، يدفع بموجبها إتاوات وألا يتم التعرض للقوافل التجارية من قِبل معد أو اللخميين .

علاقة الدولة الحميرية بقبائل الأسد ونزار :

ثانياً قبيلة الأسد :

إلى الشمال الشرقي من كندة كانت تقـــع قبيلة الأسد [Wissman H. ١٩٦٤، ١٨٥] . وقد عرفت هذه القبيلة من المصادر النقشية والإخبارية . في البداية أطلق على هذه القبيلة–المملكة تسمية الأسد، وفي وقت متأخر بعض الشيء تغيرت التسمية إلى الأزد [أ. لوندين ١٩٧٤، ٢٨٦ ؛ كذلك : Muller W., ١٩٧٤، Bd ٢، ١٥٩–١٦٠] وقد حلل تغيير تسمية الأسد إلى الأزد بكثير من التفصيل، المستشرقان ؛ الألماني كارل بروكلمان والروسي باريس غراندي [C. Brockelmann ١٩٠٨، ١٦٠ ؛كذلك : جراندي ب. ١٩٧٢، ٨٨] . ونذكر أنه يوجد أسد في السراة وأسد بعمان . على أن المعاجم العربية – بحسب بافقيه – تفيد بأن الشكل الصحيح لتسمية هذه القبيلة–المملكة هو الأسد وليس الأزد [محمد عبد القادر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥، ٢٢٦–٢٢٧] . ونحن هنا سوف نستخدم التسمية الأولى، خلال تناولنا لتاريخ تلك المملكة، في دراستنا هذه . كما ذكرت قبيلـــة الأســـد في بعض المصادر الإخبارية العربية واليمنية (الهمداني وآخرون) . كانت قبيلة الأسد إحدى القبائل التي هاجرت من جنوب شبه الجزيرة العربية، وتحديداً من السهل الساحلي الغربي (المعروف حالياً بتهامة) . إذ تشير بعض الدراسات إلى أن هذه القبيلة هاجرت في البداية إلى منطقة عمان ثم شغلت موقعاً مهما في طريق التجارة الدولي الذي يتجه نحو منطقة الخليج . وتشير بعض المصادر الإخبارية إلى الأسد باعتبارهم فرعاً من قبيلة كبيرة . ففي الإكليل ؛ إن الأزد (أي الأسد) أرومة عظيمة وقبيل كبير تفرعت إلى ٢٨ قبيلة، ويقال لهم الأُسْد تشبيهاً لهم بالأَسد، والأزد هو ابن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ [الهمداني، ١، ٢٠٠٤، ١٢٩ ؛ كذلك الهمداني، ١٩٥٣، ٢١٢، ٣١٠] . وفي كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن ؛ يذكر الأزد على أنهم بعض من قوم هاجروا من اليمن إلى عمان، بناءً على أمر من ملك كان يدعى "قطن بن عريب" [ملوك حمير وأقيال اليمن، ٣٨–٣٩] . أما المصادر النقشية

فتتناول الأسد على أنها مملكة صغيرة. أقامت علاقات مع الكثيرين من جيرانها (اتسمت أحياناً بالعداوة وأحيانا بالصداقة) وهكذا .

أول إشارة في المصادر النقشية لقبيلة الأسد جاءت في النقش [Ja، ٦٣٥، ٣٧-٣٩]، وهو يعود إلى عهد الملك السبئي شعر أوتر، الذي تولى السلطة في سبأ عند نهاية القرن الثاني الميلادي . وفي هذا الموضع من النقش يجري الحديث عن معركة جرت "في أنحاء أرض الأسد، أي عند ملتقى مسيلي وأديين" [لمزيد من الإيضاح، أنظر : بافقيه وآخرين، ١٩٨٥، ٢٢٧]، غير معروف عن هذا الموضع شيء .

في منتصف القرن الثالث الميلادي كان ملك الأسد ؛ الحارث بن كعب [Ja ١٠٢٨، ٨]، حيث يذكر : "الحارث بن كعب ملك الأسد" . وهذا النقش يعود إلى زمن حكم الملك السبئي الشرح يحضب وأخيه يازل بين مِلكَيْ سبأ وذي ريدان . إذ أن هذين الملكين قد أرسلا سفارة إلى أمراء تلك القبائل (كندة ومذحج والأسد وغيرها) لأسباب تناولنا بعضاً منها سابقاً [قارن كذلك : محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٧، ١٠٧] . ثم تولى السلطة في مملكة الأسد أخوه مالك بن كعب [Sh ٣١] . إذ يشير النقش إلى أنه : عند ملتقى القرنين الثالث والرابع الميلاديين قام أحد القادة الحميريين العاملين في منطقة خولان جدن ؛ أو خولان الشام (صعدة حالياً) ؛ وبتكليف من سيده ؛ الملك شمر يهرعش، بحملة عسكرية إلى وسط الجزيرة العربية، وكانت قبيلة الأسد أحد أهداف هذه الحملة [بافقيه، ١٠٨] . وفي بداية القرن الرابع الميلادي، اكتسحت القوات الحميرية الحاضرة الحضرمية شبوة، وسيطرت عليها إلى جانب مناطق غرب حضرموت . فحدثت نتيجة لذلك حركة تمردات واسعة ضد الملك شمر يهرعش، من قِبَل القبائل العربية ؛ في كندة ومذحج ومعد ونزار والأسد وإقليم السراة الغربي، والتي كانت على علاقة جيدة مع حضرموت، فقاتلت إلى جانبها ضد القوات الحميرية . ومن ثم اتجهت مجموعة منها بقيادة الحارث بن كعب ملك الأسد [Ja ٦٦٠، /١١-١٣]، إلى مأرب مباشرة، وبعد عدة مناوشات هناك، تم أسر الحارث وسجنه لدى الملك شمر يهرعش [السطران ١٨-١٩]، في سجن مأرب والذي ذكر كذلك في نقش [عنان ٢٢] بـ "ذ خ ز ف ن" .

ويبدو أن الأمير اللخمي امرؤ القيس بن عمرو بن عدي قد استفاد من الوضع، الذي كانت فيه الدولة الحميرية منشغلة في مواجهة مشاكلها الداخلية . فقد اتجهت معظم

الوحدات المقاتلة، من وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها لنجدة حضرموت ضد الحميريين (حسبما أشرنا سابقاً) . وبذلك وجد امرؤ القيس الفرصة سانحة لتحقيق طموحه، في توحيد معظم قبائل شمالي شرق شبه الجزيرة ووسطها ومنها قبائل الأسد . فوصلت قواته حتى ضواحي نجران مدينة شمر (نقش النمارة) [محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٧، ١١٠] . وجد هذا الشاهد القبوري في قرية النمارة الواقعة بين دمشق وبصطري (بصرى الشام حالياً) . يتكون هذا النقش من خمسة أسطر، ويوجد حالياً بمتحف اللوفر بباريس . وبحسب قراءة بيجوليفسكايا فإن النص يتحدث عن ؛ مناقب ملك كل العرب امرؤ القيس بن عمرو الذي ؛ عقد التاج (أو ثاج) وأخضع أسداً ونزاراً وملوكهم وأجبر مذحج على الهرب . . . وتوجه إلى نواحي نجران مدينة شمرن وأخضع معداً [الأسطر ١ -٣] . كتب النص يوم ٧ من كسلول السعد للذي ولده سنة ٢٢٣ [السطر الخامس] . وهذه السنة توافق ٣٢٨ ميلادي [بيجوليفسكايا، ن.، ٤٠] . أما القراءة التي أوردها بافقيه نقلاً عن بيستون ؛ فتقول : "يبدأ نقش النمارة بوصف مناقب امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها" . ثم يشير بعبارة "ذو أسرى إلى ثاج وملك الأسديين ونزار وملوكهم" [محمد عبد القادر بافقيه، ١١١] . والملاحظ أن نقطة الخلاف هي حول "ثاج" . أما بقية القراءة للنص فهي متفق عليها — كما يبدو — . على أن بافقيه يشير إلى ثاج باعتبارها مدينة من المدن التاريخية، في إقليم البحرين (أي في أرض نزار) [بافقيه، ١١١-١١٢] .

ونحن نميل إلى ترجيح وجهة نظر ؛ بافقيه وزميله بيستون، الذي نقل عنه القراءة . إننا هنا أمام وضع تمكن فيه امرؤ القيس من إخضاع الأسد ونزار، مستفيداً من الأوضاع المضطربة التي كانت تعيشها حمير آنذاك، لكنه لم يُخضع مذحج بل ولت هاربة . وعندما وصل إلى ضواحي نجران لم يخضعها كذلك . بل أخضع لسلطته معداً . معروف أن معداً كانت قبيلة كثيرة العدد شديدة المراس، مقاتلة شرسة، وأراضيها تقع على طريق التجارة الدولية، وأن هذه القبيلة قد لعبت دوراً ملحوظاً (في القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الميلاديين)، إما في استقرار الوضع السياسي في وسط شبه الجزيرة العربية أو في زعزعته (قارن نقش عنان، ٧٥)، فضلاً عن ذلك فإن امرؤ القيس لم يستطع أن يسيطر على مدينة نجران أو — ربما — لم يشأ، ولكن يبدو أنه أراد

الحصول منها فقط على بعض المكاسب، وأن يوصل رسالة واضحة للملك الحميري، ومنه إلى البيزنطيين أنه يستطيع أن يلحق الأذى بمصالحهم .

في نقش عبدان الكبير، الذي كتب عند منتصف القرن الرابع الميلادي، نلاحظ من جديد ذكراً للأسد كإحدى المناطق التي أرسل الحميريون إليها حملة عسكرية . وكان اليزنيون من أبنـاء ملشان هم المسئولون عن قيـادة الوحدات القتالية للدولة الحميرية آنذاك . إلا أن الحملة التي توجهت نحو أرض الأسد، كان قد ترأسها الملك ثاران يهنعم نفسه، وقد اشترك معه مرثد، الابن الرابع للقيل اليزني ملشان أريم . تحاربت الحملة مع الأسد في صدى والرس [السطر ١٦]، وهما فرعان من قبيلة الأسد [محمد عبد القادر بافقيه، ٧/٢، ٢٠٠١، ٣٣ ؛ كذلك : ناصر حبتور، ٢٠٠٢، ٢٧٨-٢٧٩] . ولأنه توجد في النقش فجوات كثيرة، كما في عدة سطور منه، فمن الصعب معرفة نتائج تلك الحملة . وربما ضمت هذه القبيلة في الآخر إلى قبيلة أخرى، لتشكلا مملكة واحدة، وربما تعطينا الأبحاث في المستقبل معلومات، تضيف أو تعدل مما كنا قد دوناه هنا .

ثالثاً – مملكة نزار ومعد :

أسست نزار مملكة شملت – كما يبدو – إقليم البحرين، وهو الإقليم الساحلي الممتد من : جنوبي العراق حتى شمالي عمان، تستطيع من خلال ذلك الموقع أن تراقب طرق التجارة الدولية المتجهة إلى الخليج وتالياً إلى العراق [محمد عبد القادر بافقيه، ١٩٨٤، ٥٧-٦٦] . وفي تحديد إقليم العروض، فإن بافقيه يقول أنه يشمل "البحرين واليمامة" [بافقيه، ١٩٨٨، ٥٩] . ويعد أقدم ذكر لنزار في نقش (عنان ٧٥) . ففي الهوامش على مجموعة عنان يشير بافقيه إلى أن صاحب النقش قام بسفارة إلى بلاد الشام ونزار والأسد . . . وغيرها، بتكليف من سيده الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان [محمد عبد القادر بافقيه و ك. روبان، ١٩٧٨، ٥١-٥٤] . كما ذكرت نزار وملوكهـا في [Ja ٢١١٠]، وهو نقش يعود أيضاً إلى القرن الثالث الميلادي، في أثناء حكم الملك الشرح

يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان . وهو — ربما — يتحدث عن تلك السفارة نفسها التي أرسلت إلى وسط شبه الجزيرة، وربما وصلت حتى شماليها، وهي سفارة تتعلق بالتبادل التجاري بين الجانبين . في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، أرسل الملك الحميري شمر يهرعش ؛ بعثة دبلوماسية بقيادة ريمان ذو حزفر إلى شمالي شرق الجزيرة، وقد شملت زيارتها أراضي الأسد ونزار ومعد وغيرها [Sh ٣١]، وهي تتعلق أيضاً بالمصالح المشتركة .

بعد ذلك تكرر ذكر نزار وملوكها في النقوش مرتين [محمد بافقيه، ١٩٨٤، ٦٢] . المرة الأولى كان في نقش الأمير اللخمي امرئ القيس (نقش النمارة) . إذ يقول أنه ملك العرب كلهم، وقد عقد التاج وأخضع أسداً ونزاراً وملوكهم (السطران ١-٢) . لكن بافقيه يقول ؛ أن ألفريد بيستون في قراءته للنقش يشير إلى عبارة "عقد التاج، على أنها : ذو أسرى ثاج" . وثاج، كما يقول ؛ مدينة تاريخية في البحرين [محمد بافقيه، ١٩٨٨، ٥٩-٦٠] . والمرة الثانية ذكرت في نقش، عبدان الكبير، الذي يتحدث عن حروب تمت بين اليزنيين (أقيال ملك حمير) وبين مناطق مختلفة ومنها أراضي نزار، وذلك على الشكل الآتي : قاد هذه الحملة معدي كرب ومرثد، واتجهت مع الجيش الحميري وأعرابه إلى موقع يصفه النقش بأنه يقع وسطاً بين مملكتي نزار وغسان . وهناك حاربوا عشيرة "شن وبني نكره وبني صبيره وعبد القيس، وكلها تنتمي إلى قبيلة نزار (السطور ٢٨-٣٠) . وكل هذه العشائر، حسب النسابين ترتبط بعضها ببعض، كونها من ربيعة — نزار [محمد بافقيه، ١٩٨٨، ٦٠ ؛ كذلك : بافقيه ١٩٨٧، ١١١ ؛ كذلك : بافقيه ١٩٨٤، ٦٢] . ومعروف أن وسط شبه الجزيرة العربية وشماليها كان على ذلك العهد وقبله بقليل، موزعاً بين قبائل رئيسية نعرف منها : كندة وقحطان ومذحج والأزد ونزار وغسان بل وتنوخ (حسب شرف الدين ٣١) . وهي قبائل يحكمها ملوك، تربطهم بملوك اليمن مصالح ومواثيق [محمد بافقيه، ١٩٨٧، ١٠٨] .

خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، بدأت تجارة الحرير تزدهر في منطقة حوض البحر المتوسط . ومن ثم ازداد الطلب على خام الحرير هناك بشكل كبير . وكان يتم تسويقه إلى بيزنطة عبر الطرق التي تقطع بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال . وكان

النمو المتواصل لسلعة البخور والطيوب الأخرى، فضلاً عن الطلب المتزايد للحرير. السبب الرئيسي في الصراع الحاد بين كل من بيزنطة وإيران الساسانية، من أجل السيطرة على شبه جزيرة العرب، وتحديداً على جنوبيها . وهو ما تم تحقيقه في القرن السادس الميلادي [بيجوليفسكايا ن. ١٩٤٧، ١٨٤-٢١٤] . ففي تلك الفترة نشطت الدبلوماسية البيزنطية عند مختلف القبائل والممالك العربية في وسط شبه جزيرة العرب وشماليها . وبالنتيجة عقدت معها عدة اتفاقيات، بغرض تعزيز المواقع البيزنطية على الطريق التجاري بين كل من بيزنطة وإيران وبيزنطة وجنوبي شبه جزيرة العرب . من هذه الاتفاقيات مثلاً ؛ تلك التي عقدها الإمبراطور انستاسي، مع ملك كندة الحارث بن عمرو سنة ٥٠٢ للميلاد [مهيوب غالب أحمد، ١٩٩٠، ١٤٦] . وبذلك اعتمد هذا الأمير العربي على دعم بيزنطة عند قيامه بحملة عسكرية إلى الحيرة، عاصمة اللخميين، وأجبر ملكها المنذر على الهرب [بيجوليفسكايا ن.، ١١/٧٤، ١٩٦٤، ٧٤-٩٣]، بالرغم من أن المناطق الداخلية من أراضي اللخميين استمرت في عملياتها العسكرية ضد الكنديين . وقد كان يقود تلك العمليات العسكرية ضد كندة ؛ النعمان بن المنذر، وبمساندة من بعض الجهات الساسانية (تم الحديث حول هذه النقطة سابقاً)، الأمر الذي مكن قواته من تحقيق بعض الانتصارات [بيجوليفسكايا ن.، ١١/٧٤، ٧٦] . وعند تشكل دولة كندة الجديدة (القرن الخامس الميلادي) بقيادة حجر بن عمرو آكل المرار، شملت حينذاك ؛ كل أراضي نزار ومعد وبعضاً من نجد . وبذلك توحدت المنطقة الممتدة من البحرين والعروض في الشرق حتى أطراف نجد في الغرب في إطار دولة كندة .

الخاتمة :

من خلال ما تم استعراضه فيما سبق يمكن عمل الاستنتاجات الآتية :

أولاً : شهدت بلاد العرب الجنوبية خلال القرون الثلاثة الأولى بعد ميلاد المسيح عليه السلام توترات وصراعات حادة وعاصفة ؛ على المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية . ظهرت ملامحها جليـــة خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين . وفي المقابل شهدت هذه الحقبة الزمنية — أيضاً — ظهور عدة ممالك عربية في المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية وفي شماليها، شكلت مراكز استقطاب واسعة لأكثر من جهة خلال الحقبة الممتدة من القرن الثاني وحتى القرن السادس الميلاديين . وقد ارتبط حكام هذه الممالك بملوك جنوبي بلاد العرب بمصالح ومواثيق مختلفة، وكان ملوك الدولة العربية الجنوبية يستطيعون بواسطة تلك الممالك العمل على تأمين الطريق التجاري الدولي، دون عوائق . فضلاً عن ذلك تم توظيف علاقاتهم تلك مع ملوك الجنوب لخدمة مصالح كلا الجانبين من جهة وخدمة المصالح الاقتصادية الدولية في هذه المنطقة من العالم من الجهة الأخرى .

ثانياً : أثناء الاضطرابات السياسية والتوترات الاجتماعية التي شهدتها بلاد العرب الجنوبية عند ملتقى العصر الميلادي، هاجر شطر من قبائل كندة إلى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية . وفي القرن الخامس الميلادي تواصلت تلك الهجرات، ومن ثم وصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية، فسيطروا على فينيقيين وبعض مناطق العراق وفلسطين وسورية . ولعبـــوا أدواراً مهمة هناك ؛ تمثلت في الإشراف على القوافل التجارية التي كانت تصل إلى هناك، بل وشكلت خطاً دفاعياً متقدماً للحدود البيزنطية، في تلك المنطقة .

ثالثاً : شهد النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ميلاد دولة مركزية على كل بلاد العرب الجنوبية ؛ ضمت مناطق نجد اليمن (أي الجزء الغربي كله) وأراضي حضرموت القديمة كاملة . وفي بداية القرن الخامس اندفعت القوات الحميرية نحو أواسط شبه الجزيرة ؛ فضمت مناطق السراة الشمالية الغربية. فتكونت بذلك دولة مترامية الأطراف بمعايير ذلك العصر وإمكاناته، وبذلك شكلت الدولة اليمنية القديمة حينئذ ثقلاً إقليمياً، بات من الصعب تجاوزه . ولابد من وضع هذه الدولة بالحسبان عند مناقشة الأوضاع السياسية والمصالح الاقتصادية الدولية . ومن هنا كان التركيز الدولي شديداً على أهمية أن يكون لكل دولة من الدول الكبرى من يرعى مصالحهـا في هذه المنطقة من العالم .

رابعاً : كان للصراع الذي شهدته بلاد العرب الجنوبية خلال القرن السادس الميلادي أثره في تدهور الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة والمجتمع على السواء . ومن ثم عكس ذلك نفسه على غياب دور الدولة في صيانة المنشئات العامة وقيامها بالخدمات العامة وحماية الطرق التجارية الدولية، الأمر الذي أدى إلى تدهور المدن العربية الجنوبية وانتقال مركز الثقل التجاري بالتدريج إلى الحجاز .

خامساً : خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، بدا واضحاً أن الديانتين المسيحية واليهودية قد سيطرتا على مناطق كثيرة، وثانياً على فئات اجتماعية مختلفة . ومن ثم تم الاعتراف أولاً بالمسيحية عند منتصف القرن الرابع، وعند نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس تم الاعتراف باليهودية . لذلك تم استغلال الأحزاب الدينية، من قِبَل القوى السياسية المحلية والدولية بشكل سيئ، فكانت إحدى الأسلحة التي استخدمت في الصراع الدولي في شبه الجزيرة العربية . بمعنى آخر خلال هذه الحقبة الزمنية خاضت اليهودية والمسيحية معاركهما الأساسية، "من أجل تأسيس نفسها" سواءً في مهد ظهورها أو في المناطق الأخرى (في أراضي الدولتين البيزنطية والفارسية، وفي مناطق نفوذهما) . على أن الضربات التي وجهت للديانة اليهودية قد أثرت على

علاقاتها المستقبلية، فانغلقت على نفسها في تلك المناطق التي اتجهت إليها جنوبي فلسطين (أي إلى شبه الجزيرة العربية)، ولم يسجل لها اختراق واضح إلا في بلاد العرب الجنوبية، خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

سادساً : كان لتوحبد بلاد العرب الجنوبية وامتداد تأثيرها حتى أواسط شبه الجزيرة العربية، أن حقق المزيد من الاختلاط والتقارب بين القبائل العربية . ومن ثم أحدث ذلك تطوراً ملحوظاً في اللغة الدينية وتطوراً في الطقوس الدينية . فقد ظهرت النقوش المسندية ذات الطابع التوحيدي (اليهودي والمسيحي)، من نهاية القرن الرابع الميلادي، الأمر الذي مهد التربة للتقارب بين مختلف قبائل شبه الجزيرة العربية ؛ اجتماعياً وثقافياً ودينياً، ومن ثم شكل ذلك مقدمات — كما نعتقد — ضرورية لظهور الإسلام فيما بعد .

د. مهيوب غالب أحمد كليب

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب — جامعة ذمار/ اليمن

كشف بالمصادر والمراجع والرموز المستخدمة في كتابة البحث، حسب ورودها بالهوامش، وكذلك توضيح لرموز النقوش المستخدمة في البحث

أولاً : النقوش المستخدمة :

١ – Ja : Sabaea Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib), Washington, 1963

٢ – CIH : Corpus Inscriptions Semitcarum, Pars Quarta. Inscriptions Himyariticas et Sabaeas, V. I-IV. Parrs, 1889-1932.

٣ – RY : Rykmans J. Inscriptions Sud-arabes (dixieme serir) // LeMuseon, N 3-54, 1953. P. 267-318, 319-70; Le Museon. LXVIII,1955, P. 297-312.

٤ – مجموعة النقوش التي نشرها أحمد شرف الدين Sh :

٥ – مجموعة النقوش التي نشرها الأستاذ مطهر الإرياني Er :

٦ – إضافة إلى نقوش نشرها ؛ زيد عنان، وسميت كذلك باسمه .

ثانياً : المصادر والمراجع حسبما ظهرت فيه في هوامش البحث، إضافة إلى بعض الإيضاحات :

١ – أبي محمد الحسن أحمد بن يعقـوب الهمداني، الإكليل – جـ ١، تحقيق محمد بن علي الأكوع . الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤ .

٢ – طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تصنيف : السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ؛ حققه : ك. و. سترستن، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥ .

٣ – ملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميري. تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي. دار العودة. بيروت ١٩٨٦ .

٤ – Wissman H., Himyar, Ancient history. // Le Museon, LXVII, N 3-4, 1964.

٥ – بطرس غريازنيفتش. تاريخ حضرموت القديم في ضوء التحريات الحقلية للبعثة اليمنية – السوفييتية. المبشر في التاريخ القديم ، العدد الثاني الصادر باللغة الروسية. موسكو ١٩٨٩ .

٦ – عبد الرحمن الأنصاري، أضواء جديدة على كندة من خلال آثار قرية الفاو ونقوشها (مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ١، الرياض ١٣٩٩هـ .

٧ – ك. جوليان روبان، انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى القرن العاشر الميلادي، تعريب علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٧، يناير فبراير مارس ١٩٨٧م .

٨ – ميخائيل بتروفسكي، العربية الجنوبية في العصور الوسطى المبكرة، باللغة الروسية، موسكو ١٩٨٥م .

٩ – محمد عبد القادر بافقيه، ألفريد بيستون، ك. روبان ومحمود الغول، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس ١٩٨٥م .

١٠ – بيجوليفسكايا ن. ف.، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم، الخرطوم ١٩٨٣م .

١١ – ميخائيل بتروفسكي، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل، تعريب شاهر جمال أغا، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء ١٩٨٤م .

١٢ – يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بيروت – دمشق ١٩٩٠م .

١٣ – مهيوب غالب أحمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية "اليمن القديم" الكتاب الأول، التاريخ السياسي، صنعاء ٢٠٠٣م .

١٤ – سرجي فرنتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده (١)، تعريب : عبد العزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٤م .

١٥ – أبراهام لوندين، الموظف والدبلوماسي السبئي في القرن الثالث الميلادي، المجمع الفلسطيني، جـ ٢٥، الصادر باللغة الروسية، موسكو ١٩٧٤م .

١٦ – أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام (السياسي والحضاري)، دمشق ١٩٩٠م .

١٧ – عبد الله حسن الشيبة، محاضرات في تاريخ العرب القديم، صنعاء ١٩٩٠م .

١٨ — محمد عبد القادر بافقيه. عودة إلى نقش عبادان الكبير (٢)، مجلة ريدان، العدد السابع ٢٠٠١م .

١٩ — محمد عبد القادر بافقيه، محتوى نقش المصال ٥، مجلة ريدان العدد السادس ١٩٩٤م .

٢٠ — محمد عبد القادر بافقيه، في العربية السعيدة، جـ ٢، صنعاء ١٩٩٣م .

٢١ — ناصر يسلم حبتور، اليزنيون . . موطنهم . . ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط ١، جامعة عدن، الشارقة ٢٠٠٢م .

٢٢ — كلاوس شيبمان، تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، تعريب : فاروق إسماعيل، صنعاء ٢٠٠٢م .

٢٣ — G. Olinder, The Kings of Kinda, Lund, 1927.

٢٤ — أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الإكليل، جـ ٢، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٤م .

٢٥ — عبد الله أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس للميلاد (القسم الثاني من الكتاب)، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء ٢٠٠٤م .

٢٦ — مهيوب غالب أحمد، العربية الجنوبية من منتصف القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن السادس (التاريخ السياسي والعلاقات الخارجية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التاريخ، جامعة موسكو، ١٩٩٠م .

٢٧ — ك. ج. روبان، الممالك المحاربة، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تعريب : بدر الدين عرودكي، مراجعة : يوسف محمد عبد الله، باريس — دمشق١٩٩٩م .

٢٨ — أبراهام لوندين، اليمن إبان القرن السادس للميلاد، المجمع الفلسطيني، جـ ٨ (٧٨)، لينينجراد ١٩٦١م . تشير بعض الأدبيات إلى أن الملك معدي كرب يعفر حصل على مبلغ اثني عشر ألف دينار من سيدة مسيحية من تجار نجران، على شكل قرض أخذه لمواجهة الضائقة المالية التي كان يواجهها .

٢٩ — مهيوب غالب أحمد، عرض موجز لتاريخ العلاقات اليمنية-الحبشية، مجلة بينون، الصادرة عن جامعة ذمار، العدد الأول، مارس ٢٠٠٤م .

٣٠ — إيفونا غايدة، التوحيد في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، حوليات يمنية، الصادرة عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٦م .

٣١ — كوبيشانوف يوري ميخائيلوفتش، شمال شرق إفريقيا في العصور الوسطى المبكرة / القرن الرابع = منتصف القرن السابع/ دار العلم، موسكو ١٩٨٠م .

٣٢ – محمد فتحي الشاعر. السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان" الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م .

٣٣ – اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق ١٩٦٦م .

٣٤ – La letter a di Simeon vescovo di Beth-Arsam. Ed. I. Guide. Roma, 1881.

٣٥ – Wissman H., Zur Geschichte und Landeskunde von Alt Sudarabien. Wien, 1964.

٣٦ – Muller W., Eine Sabaeisch Gesandschaft in Ktesiphon und Seleukeia Neue Epigraphie, Wiesbaden, 1974, Bd. 2.

٣٧ – C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen. B., 1908.

٣٨ – جراندي ب.ن.، مدخل إلى دراسة اللغات السامية المقارن، موسكو ١٩٧٢م .

٣٩ – أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، راجعه وحققه : محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي سنة ١٩٥٣م .

٤٠ – محمد عبد القادر بافقيه، في العربية السعيدة، جـ ١، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٧م .

٤١ – محمد عبد القادر بافقيه، مملكة نزار وإقليم البحرين، دراسات يمنية، العدد ١٨، الصادر عن مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٤م .

٤٢ – محمد عبد القادر بافقيه، عودة إلى نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد الخامس ١٩٨٨م .

٤٣ – محمد عبد القادر بافقيه و ك. روبان، هوامش على مجموعة زيد عنان، مجلة ريدان، العدد الأول الصادر في سنة ١٩٧٨م .

٤٤ – بيجوليفسكايا ن.، الدبلوماسية البيزنطية وتجارة الحرير بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، الزمن البيزنطي، جـ ١، موسكو ١٩٤٧م .

٤٥ – بيجو ليفسكايا ن.، سياسة بيزنطة في البحر الإريتري، المجمع الفلسطيني، جـ ١١ (٧٤)، موسكو ١٩٦٤ .